روايات مصرية للجيب

66

أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك!

ما وراء الطبيعة

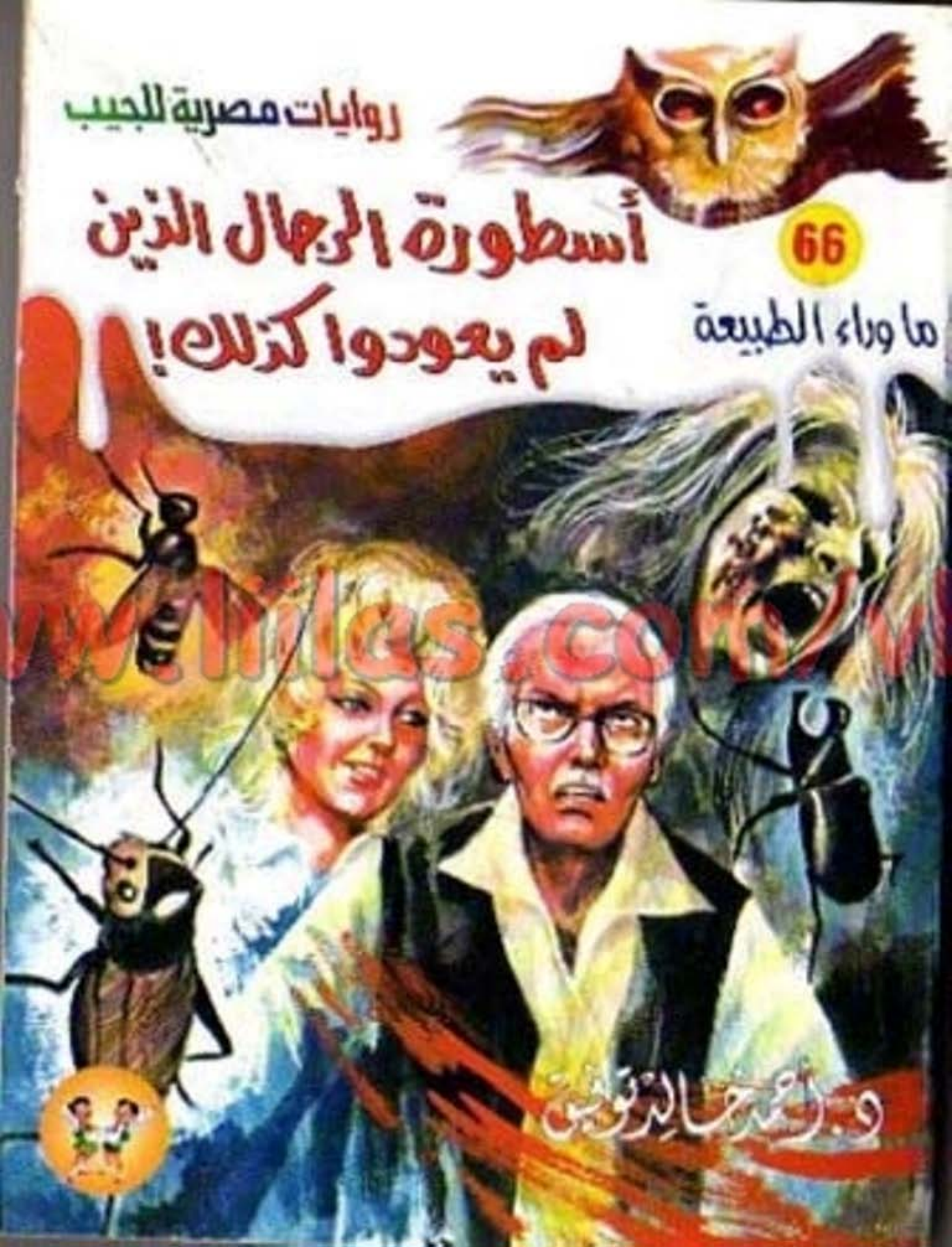

د. أحمد خالد توفيق

يصعب على المرء أن يقدم للمرة الأولى قصة للقراء لا يرسمها الفنان الأستاذ (إسماعيل دياب) ولا يشرف على تنسيقها الأستاذ (صبحى عبود) ـ عم (صبحى) كما ينادونه فى المؤسسة ـ خاصة انها المرة الأولى منذ وضعت قدمى هنا، لكن هذه سنة الحياة ولسوف تستمر أردنا أم لم نرد ..

ليرحم الله الفقيدين العزيزين ويرحمنا يوم يقول الرسام الجديد : يحز فى نفسى أن أرسم غلاف قصة لم يكتبها فلان أو فلان ...

المقدمة

مرحبًا بكم ..

أنغام (شوبرت) تنبعث من جهاز الكاسيت المعلق .. قدح من الشيكولاته الساخنة .. هدوء تام هذه الليلة كأن الصاخبين قد ماتوا كما تمنيت .. لا سعال .. لا صداع .. رائحة عطرة تنبعث من عود بخور رفيع تنقل لك أجواء المعابد اليونانية فى (التيت) .. الرائحة تمتزج بأنغام (شوبرت) صنعة مزيجًا شهيًا ـ سمعًا وريدًا .. أى إنك قد تتصفى لرائحة البخور أو تشم الموسيقا ..

جهاز الهاتف قد قرر أن يخرس .. ربما استجاب الله لدعائى وتلف هذا الجهاز الوقح أخيرًا .. أتذكر ذلك الملكر المصرى تكبير ـ د. (أحمد أمين) إن لم تخنى الذاكرة ـ الذى قالوا له إن هناك اختراعًا جديدًا اسمه الهاتف ، وهذا الاختراع يتيح لمن يريده أن يخاطبه إذا دق له الجرس .. فرفض تركيب هذا الاختراع رفضًا باتًا وقال : « إذن ما الفارق بينى وبين خادمى ؟ كلانا يريده الناس فيقرعون له جرسًا !! »

www.liilas.com/vb3

هذه الكلمات تلخص رأيي في هذا الاختراع برغم مرور ما يقرب من ثمانين عامًا عليها ..

يبدو أن البعوض كذلك قد قرر أن يخلد ذكراه مستحقة .. فقاصلني بخير .. الجيران كفوا عن قتل بعضهم وإلقاء الجثث فوق سطحي ..

هدوء .. صمت .. موسيقا .. راحة بضور .. سلام نفسي .. راحة بال .. صحة جسدية ..

القاصة أنها أسطورة لا تطاق !

سأجن لو استمر الأمر على هذا الحال !

لهذا قررت أن أفسد هذا كله وأحكي لكم قصة جديدة من قصصي ..

الرجال الذين لم يعودوا كذلك .. إنهم في كل مكان للأسف في هذه الأيام .. كل الرجال لم يعودوا كذلك ، إلى درجة أن الأسطورة الحقيقية هي أن تحكي عن رجال ظلوا كذلك ..

لكن ليس المجاز ما أعنيه .. أنا أتحدث حرفيًا عن رجال لم يعودوا كذلك ..

ربما يبدو الأمر غامضًا .. لكنك تعرف أنني سأفسر كل شيء .. بعد بضع صفحات بصير الأمر واضحًا .. ربما مملاً كذلك ..

سأحكي القصة لكن أرجو أن تخبروني إذا ما كنت قد حكيتها من قبل .. لقد تكلمت كثيرًا جدًا حتى لم أعد أتذكر إن كنت قلت ما كنته أم لا ..

القصة تدور حول شيء كهذا ..

www.liilas.com/vb3

مقـــدمة

عزيزى رفعت :

سررت كثيرًا لتلقى ذلك الخطاب منك .. من الطريف أن يتلقى المرء خطابات ممن هم مثلك من حين لآخر .. دعنى من السبب الأهم الذى يجعلنى أرتاح لمراسلتك ، وهو أنك اتبعت تعليماتى حرفيًا فلم تذكر اسمى .. إنك تعرف أن الناس تقع فى هذا الخطأ من حين لآخر .. ويكون رد فعلى على هذا حاسما .. أنا لا أريد أحدا ولسوف يسعدنى كثيرًا التخلص من وجه جديد ..

من ناحية أخرى أنت استعملت المزيج الذى وصفته لك بدقة .. ومن الواضح أن ضغط دمك مرتفع فعلاً .. كثافة الدم فى الحبر الذى كتبت به توحى لى بذلك ..

الأمور تسير على ما يرام .. أعرف أنك قادم إلى الولايات المتحدة فى الفترة القادمة .. بالذات إلى (فينتس Phoenix) أعرف أنك ستمضى هناك يومًا أو اثنين ثم تتجه إلى (تيمب Tempe) .. لابد أنك تقصد جامعة (أريزونا) هناك .. فى الحقيقة لم أسمع أن هناك كلية طب ، لكنك أدرى بهذا .. تعرف

الحقيقة لم أسمع أن هناك كلية طب ، لكننى أدرى بهذا .. تعرف أن عليك أن ترتحل بعدها إلى (دلوير)(*) قرب (مورينسى Morenci) .. هذا موعد بلا أعذار .. موعد يشبه الموت وعليك أن تلبيه أردت أم لم ترد ..

يبدو لى جدولك الزمنى حافلاً ومزدحمًا أكثر من اللازم ، لكنه كذلك شاق .. ألا ترى هذا معى ؟

على كل حال يجب أن نتفق على شىء مهم .. أنا لن أتصل بك قبل اللقاء وعليك ألا تحاول تحت أية ظروف الاتصال بى بأية وسيلة عدا الخطابات .. لعل كلامى واضح ولا يمكن فهمه بطريقة أخرى ..

أرجو أن أسمع منك أخبارًا أفضل فى الفترة القادمة ، لكن خذ الحذر ..

أعرف أن هناك أمورًا معلقة فى (الأريزونا) هذه الأيام .. ويبدو أنك محق بصدد هذا المغناطيس الذى يجذبك جذبًا نحو المشاكل ..

(*) اسم البلدة وهمى .. لكن (مورينسى) حقيقية ..

www.liilas.com/vb3

سوف أحاول مساعدتك ، لكن لا أعد بالكثير .. ما دمت قادمًا إلى (أريزونا) موطن رعاة البقر فلأقل لك ما يقوله هؤلاء فى الأفلام : على الرجل أن يقوم بما يجب على الرجل أن يقوم به !

شكرًا سلفًا ..

بإخلاص :

أنت تعرف من ...

★ ★ ★

عزيزتى :

لن أنسى التعليمات .. لا أسماء .. طريقة كتابة الخطاب هى هى ..

من الممتع أن يعرف المرء من هى مثلك .. وهو حب مستحيل على كل حال .. كل حب فى حياتى كان مستحيلا بشكل أو بآخر .. حتى الإنجليزية التى أحبها وتحبنى منذ عدة عقود لا أستطيع الارتباط بها لأنها تصر على أن (الإنجليز يحفظ لكل منا صورته الجميلة عن الآخر) ، وهو منطق لا بأس به لكنى أريدها فما الحل ؟

هى مصممة على أن أظل أشيخ وأهرم وأتحول إلى مومياء حية قبل أن أتحول إلى مومياء ميتة .. كل هذا حتى لا تفسد صورتى الجميلة عندها ! أى منطق هذا ؟!!

نعم . معلوماتك دقيقة وهى أدق من معلوماتى كما هو واضح ! لم أكن أعرف أننى ذاهب إلى (موريتسى) لكن عرفت هذه الحقيقة مؤخرًا .. حتى تساءلت (هل أنا ذاهب إلى موريتسى لأنك تريدين هذا ، أم إنك تريدينى لأننى ذاهب إلى موريتسى ؟) ..

www.liilas.com/vb3

(على الرجل أن يقوم بما يجب على الرجل أن يقوم به) .. من قائل هذه العبارة ؟ (جون واين) بطل أفلام رعاة البقر ورمز أمريكا ؟ تبدو كأنها خرجت من لسانه .. إنها بسيطة جدًا لكنها بليغة .. كلنا ينسى ذلك ..

حسن .. أنت تعرفين حياتي .. الكثير من الوحدة .. الكثير من الخوف .. الكثير من التكريمات الأليمة .. الكثير من الإحباطات .. الحياة بين كتب الظواهر الغريبة أو بين الكتب العلمية .. أمراض الكهولة أجمعها في جسدي كأنها طوابع .. أعد وجباتي للغداء وعلى الأرجح أصاب بالاشمئزاز وأتقيأها في الغمامة ..

لست سعيدًا على الإطلاق ، لكني لست تعسًا .. لم أولد جهازًا عصبيًا يسمح لي بتحمل الصخب ولا البشر .. لا أتحمل أن يزورني أستاذ (عبد الباسط) مع زوجته المدينة وأطفاله الستة .. هو يخلع حذاءه ليتسلى بمداعبة أصابع قدميه باعتزاز كأنه اكتشف فجأة أن له قدمًا ، ويوضح لي كم أنه مظلوم ولا ينال ما يستحق في العمل ، وكيف أن درجته العلمية تسمح له بأن يكون وكيل وزارة .. لكن هذا هو

حالنا دومًا .. من يحرق نفسه في العمل لا يظفر بشيء ومن ينافق يظفر بكل شيء .. ثم يحمر وجهه ويبدأ في قذف الذباب من فمه في وجهي .. والأطفال يتسلون بتمزيق كل كتاب أحبه ، وكل مزهرية أعتز بها ، إلى أن يهول أصغرهم على السجادة لتحمله أمه إلى حوض المطبخ - دائمًا المطبخ - لتغسل مؤخرته فوق أطباقي .. ثم تعود لتثرثر مع زوجتي عن الطريقة المثلى للاحتفاظ بمذاق الصلصة ..

لا بد من قطرة زيت على السطح .. هذا واضح ..

وفي النهاية يعتذر لي الأستاذ (عبد الباسط) عن البقاء لساعة متأخرة .. الحقيقة أنه يجب أن يعتذر عن تواجده مبكرًا في داري .. وينصرف تاركًا إياي ألعنم جراحي كأنني فرنسا تحاول لم جراحها بعد الغزو النازي ..

حقًا لا أطيق البشر .. للدقة أنا وهم قطبان .. سالب وسالب .. شمالي وشمالي ..

شكرًا على اهتمامك .. لكن أتمنى ألا تبخلي على بخطاب من آن لآخر .. صديح أن ساعدي ما زال يؤلمني من

www.liilas.com/vb3

تجربة الكتابة المتكررة .. هذا الإكسير لا يجعل الدم يتجمد أبدًا .. لكنى بحاجة لك لأن كلماتك هى الحكمة مقطرة ..

أتوقع منك ما هو أكثر من التلميحات .. أتوقع تفصيلات أكثر ..

بإخلاص

رنست إسماعيل

★ ★ ★

عزيزى رفعت :

فى الحقيقة ليس من حقى أن أتكلم أكثر من اللازم .. أنت تعرف جيدًا أنه ليس من حقنا تقديم معلومات سخية ، لكنى أرجح أنك ستموت وحيدًا .. لن تتزوج أبدًا .. أعتقد أنك قبلت هذه الحقيقة وهى ليست بالمرعبة إذا ما فكرت فى الأمر بروية .. من يمتلكون نفاد صبرك وعصبيتك وتاريخك المخيف لا يحق لهم أن يطيروا شخصًا آخر ..

دعك من أن عدم الزواج قد يمنحك تفردًا خاصًا كالرهبان والرهبان (النيجا) .. قالوا قديمًا إن هؤلاء الرهبان يلتذون أى تمييز لهم متى تزوجوا . وأعتقد إن هذا ينطبق عليك ..

لنأتى إلى الموضوع الثانى .. هذه النصائح قد تكون مفيدة لك هناك وقد لا تكون لكن أرجو أن تتذكرها :

- لا تثق فى أية أصوات غريبة تسمعها ليلاً .. لا تفترض أنها طبيعية ..

- مقولة (يحدث للآخرين فقط) تنتهى عهدها .. ربما كان من الأفضل أن تتبنى مقولة (يحدث لى دون سواى) ..

www.liilas.com/vb3

ـ لا تثق فى الصداقات القديمة أكثر من اللازم .

ـ لا تقع فى حب جديد ..

ـ الراحة الكريهة موجودة هناك لسبب مهم .. لا تنس هذا ..

ـ لا تثق فى زوجة يموت زوجها ليلة الزفاف ..

ـ عداواتك القديمة قد تطفو على السطح .. تذكر أين أنت ومن أنت ..

هذا كل ما يوسعنى أن أقدمه لك ..

أتمنى لك حظًا سعيدًا .. لكنى أؤمن بالحتمية . كنت بطل أسطورة إغريقية سمع مصيره كاملاً من العرافين ومن الجوقة ، لكنه مضى إلى نهايته بعناد وتحد .. ولو كان النصح يجدى مع أمثالك لما حدثت أول مغامرة لك ..

شكرًا سلفًا ..

بإخلاص :

أنت تعرف من ...

★ ★ ★

عزيزتى :

طبعًا هذه الكلمات تغرينى فعلاً بالتأجيل ، لكن العجلة قد دارت .. تذاكر حجزت ومخططات طبعت ومراسلات تمت .. ربما لو أخبرتنى قبل هذا بعدة أشهر .. ثم إنك بالانتظارى فى النهاية ..

على كل حال أعدك أن أكون حذرًا وألا أتدخل فى شىء لا يخصنى .. سأكون ولدًا طيبًا .. سوف أكتب لك ثانية ، لكن يجب أن أصارحك بأن هذا الورق المدبوغ لا يناسبنى . أحتاج إلى ورقاء فقاز عند الكتابة لأنى أكره ملمسه ، ثم رائحة الحرق عند إرساله ! الخطاب الوحيد الذى يجب أن يُحرق كى يصل لصاحبه ! دعك من أن ذراعى يؤلمنى كثيرًا ..

أما عن خطاباتك فتصلنى بالطريقة المعتادة .. وجدت خطابك الأخير تحت الوسادة .. أعتقد أن هذه الطريقة ستكون هى ميثاقنا الدائم ..

فقط أرجو أن تتذكرى هذا العجوز الأصلع الذى كتب عليه أن يواجه الكوارث حيثما ذهب ..

www.liilas.com/vb3

إن السفر قد تحدد بعد غد .. رحلة طويلة مرهقة هى .. دعك من مقتى الشديد للولايات المتحدة التى لم أعتبرها أرض الأحلام قط .. لكنها مهمة فعلاً .. يمكن للمرء أن يكرهها لكن من المستحيل أن يتجاهلها ..

شكراً على كل شىء ..

www.liilas.com/vb3

بإخلاص،

رفعت إسماعيل

الجزء الأول

العالم

« بعض الذهب يفضل أن يبيض على جثث فى أماكن مختلفة .. لو وجدنا جثة فى العراء وعليها بعض هذا الذهب فإن هذا دليل لا يدحض على أن الجثة نقلت للخارج .. والعكس صحيح .. هناك من يقتل رجلاً فى الغابة ثم ينقل الجثة إلى بيت مغلق .. هذه أشياء لا تخدع عالم الحشرات العدلى .. »

★ ★ ★

-1-

والآن أقدم لكم الدكتور (جوزيف شوارتز) ..

من بين هؤلاء الواقفين فى مسرح الجريمة ، يمكن القول أنت لن تبحث كثيرًا عن الرجل .. قامة فارعة .. وسيم كممثلى السينما .. قاطع قوى الشخصية . باختصار هو ذلك الرجل الذى يحتبس الكلام فى أى مجلس لدى دخوله ، وتتوقف النساء عن التنفس للحظة .. إنه يختلف فى كل شىء عن صورة العالم فى أذهاننا .. هذا عالم وسيم منظم أنيق ، وهو ما يبدو نوعًا من الخيال العلمى لكنه حقيقى ..

رجل لا يمكن أن تقتحمه العين .. هناك إذ يقف وسط رجال الشرطة ينظر إلى جثة الفتى الراقدة على الأسفلت المبتل ..

إن المطر ينهمر بشكل خفيف فى هذه الأمسية ، وهذا يضفى لمسة درامية لا بأس بها على المشهد .. هناك رجلا شرطة من ذوى الكروش .. أكبرهما فى حجم البطن هو المأمور ذاته ، وهذا يشبه تقاليد القبائل الإفريقية التى تنتخب لزعامتها صاحب الكرش الأكبر ..

والآن دعنى أقدم لك الجثة بكل فخر ..

هذا الفتى هو (جيمى شاربتون) .. وهو شاب أمريكى عادى جدًا لا يميزه شىء خاص .. تحيل أخرق .. لم تملأ رأسه قط إلا فكرة (المرح مع الشباب) .. طالب فى المدرسة الثانوية ولا يذكر أحد أنه عاداه من قبل ، فلماذا يقرر أحد أن يقتله الآن بالذات ؟

يقف المأمور (روى بيكر) وهو يدس أصبعين فى حزام سرواله الجينز ، وقد مال القبعة على عينيه فى (لامبالاة) ، والكرش الصلبى يتدلى أمامه مهينًا بوضوح أنه رجل فعال لا يخجل أولا .. ثانيًا هو يريد التظاهر بأنه محترف .. لهذا رسم على وجهه ابتسامة واثقة بينما تدلى السيجار الرفيع من جانب فيه فى استهتار ..

ينظر له د. (شوارتز) نظرة جانبية عابرة ..

الفظاظة .. عدوه الأول .. السوقية .. الابتذال ..

كان يرى دومًا صور قتلى حروب العالم فى المجلات القديمة .. جثة غارقة فى الدماء السوداء على الأرض (لأن الصور بالأبيض والأسود أو لعله الأصفر والبنى)

وكان يتساءل دومًا عن رجال الشرطة الواقفين فى نوع من الفخر ، وقد وضعوا أيديهم فى خصورهم وهم يضحكون فى اعتزاز بالنفس كأن هذه ثمرة إنتاجهم .. كان يرى فى هذا مزيجًا من الفظاظة والتفاخر الطفولى : نحن لا نخاف .. نحن شجعان حقًا .. هذا هو عملنا اليومى أيها السذج الحمقى ..

فى (فينكس) كان بطبعه يمقت رجال الشرطة ، لكن عمله كان يحتم أن يختلط بهم كثيرًا جدًا .. وكان الطرفان من التضح بحيث فهما الملاقة جيدًا . هم يكرهونه باعتباره العالم المتحذلق المتعالى ، وهو يمقتهم باعتبارهم الدببة البدينة الفظة ..

بما أننا فى بلدة صغيرة ، لم يكن هناك ذلك الشريط الأصفر المعتاد ليمنع المارة من الدنو .. ولا ذلك الخط الأبيض الشبحى حول الجثة .. هذه أشياء يقوم بها رجال المدن الكبرى الأثرياء المدللون .. إنها تبدو جميلة فى التليفزيون ..

والتفت المأمور إلى (شوارتز) وقال له بشىء من الاشمئزاز :

ـ « هلم .. عملك يا (دوك) .. »

بلهجة من يقول : سنرى هذا السيرك ..

أخرج (شوارتز) محتويات حقيبته ، ثم ثبت العوينات على أنفه واقترب أكثر من المشهد .. طبيعة عمله جعلته يرى الكثير من الجثث .. لكنه لم يحب كثيرًا هذا الجزء ..

دنا أكثر وركع على ركبتيه جوار الفتى ..

هنا تذكر شيئًا مضحكًا .. حتى هذه اللحظة لم يعرف كيف مات .. لا توجد علامات ظاهرة من أى نوع ..

رفع عينًا متسائلة وسأل المأمور :

ـ « كيف مات ؟ »

ـ « هذا هو ما نحاول معرفته .. إن لى سبعة عشر عامًا كمأمور لكنى لم أر شيئًا كهذا قط .. لكنك تستطيع مساعدتنا على ما أظن .. أنت طبيب شرعى .. »

بكبرياء قال (شوارتز) :

ـ « خبير فى علم الحشرات العدلى .. لا أمارس أى شىء يتعلق بالتشريح أو تحليل السموم .. أنا عالم حشرات أكثر منى طبيبًا .. »

www.liilas.com/vb3

قائها وقد بدأ يدرك المأزق الذى وقع فيه .. إن الرائحة كريهة فعلاً .. وشعر كأنها تتسلل إلى داخله لتلوثه .. هذا هراء لكنه يندرج تحت بند (تابو Taboo) الموت المعروف .. التعامل مع الموت كعدوى ..

أخرج المأمور من جيبه أنبوبًا صغيرًا .. ومد يده يمسح تحت أنف العالم .. يبدو أن هذا نوع من الدهانات نفاذة الرائحة المخصصة لعلاج الآلام المزمنة .. رائحة الأعشاب الأسيوية تغطى على كل شىء .. وقد شعر بامتنان لهذه اللمسة ..

جلس جوار الجثة وراح يفحص الأنسجة ..

لا يوجد تمزق .. لكن هناك أجزاء تعرت من الجلد كأنه نوع من التحلل .. وتحت نسيج الجلد كانت تلك البرقات .. واضحة جدًا .. لون الكريم المميز والجسد ملساء بلا أقدام . .. من المعتاد بالنسبة للجثث السليمة أن تحتشد هذه حول فتحات الجسم .. أما فى الجثث التى امتلأت بالجراح فتفضل أن تكون فيها بطبيعة الحال ..

مد الجثث والتقط بعضها ودسه فى زجاجة صغيرة يحملها ..

سمع أحدهم يتأفف .. وهو شىء اعتاده على كل حال .. لن يفهم رجال الشرطة هؤلاء أبدًا .. جثث متعفنة .. لا بأس .. لكن أن توجد فيها ديدان فهذه كارثة بالنسبة لهم ..

قال المأمور :

ـ « ما رأيك ؟ »

غمغم (شوارتز) وهو يعاود فحص الجثة :

ـ « ذبابة الفرس Blow fly .. رتبة ثنائية الأجنحة .. إنها تلك الذبابة الزرقاء اللامعة التى تحيل حياتك جحيمًا .. يرقاتها تظهر دومًا فى الأنسجة المتعفنة .. »

ـ « وهل هذه أنسجة متعفنة ؟ »

نظر إلى المأمور فى غباء .. هذا الرجل يمزح أو هو غبى جدًا ..

قال فى برود :

ـ « لو كان أنفك لم يدرك هذه الحقيقة فأنت فى مشكلة .. »

www.liilas.com/vb3

فى صبر قال المأمور :

ـ « أكرر لك .. من المستحيل أن تكون هذه جثة ملعونة .. لمس لم تكن هناك أية جثث هنا .. دعك من أن لدينا شهودًا يمكن أن يؤكدوا أن الفتى كان حيًا .. »

ـ « الجثث تنقل من مكان لآخر .. »

ـ « كل الأدلة التى لدينا تقول إنه قتل هنا .. فى هذه البقعة بالذات .. وذبابتك هذه لن تكون أدق من معلوماتى .. لاحظ أن لى سبعة عشر عامًا كمأمور .. »

ـ « يبدو أنك فى هذا .. »

فى صبر ابتلع المأمور ريقه ، ثم ألقى فى فمه بقطعة من اللادن وقال :

ـ « ليكن .. اعتبر أنك تكلم حمارًا .. »

ـ « لن يرهقنى هذا ! »

ابتلع المأمور الإهانة مع اللادن وريقه ، وقال :

ـ « ليكن .. هل فى كتابك ما يفسر أن تهاجم هذه البرقات جثة حديثة الوفاة ؟ »

ـ « مستحيل .. يسهل القول أن معلوماتكم خطأ .. لكن الحقائق العلمية لا تتبدل »

ثم راح يفتش عن مزيد من تلك الحشرات ..

فى النهاية وجد ضالته .. هذه المرة نحن نتحدث عن الخنافس ..

فتح زجاجة أخرى وراح يدس فيها بعضًا من تلك الحشرات .. وهو يتكلم بصوت عال :

ـ « هذه برقات مختلفة تمامًا .. ثلاثة أزواج من الأرجل .. أنها برقات خنافس .. »

نظر المأمور إلى الواقفين حوله وقال فى غيظ :

ـ « يبدو أنك تلعم بوقك هنا .. إن الحماس الغبى يحركك بينما نحن نقلى .. »

ثم نزع قبعته ، وقال وهو يجفف عرقه :

ـ « لو كنت قد فرغت فإننى أدعوك إلى الشراب .. نريد الكلام عن هذا الموضوع بالتفصيل .. »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

هناك حالات كثيرة فى (داوير) .. يبدو أنها التسلية الوحيدة بالنسبة لعمال المناجم هؤلاء .. إنها حياة فظة قاسية لهذا بدا دكتور (شوارتز) أنيقًا مرفهًا لدرجة تثير الغرابة ..

طلب المأمور قدحين من الشراب ، ثم قال :

ـ « معذرة .. أنت رجل شريف تحب الصراحة ، لذا سأكلمك بصراحة .. بالنسبة لنا أنت نوع من الحواة .. ولو لم يرسلك رؤساؤى فى (فينكس) للتحقيق لما فكرت فى سماع رأيك الخبيث .. »

قال (شوارتز) باسمًا :

ـ « هذا يريح جميع الأطراف .. بالنسبة لى أنتم رجال شرطة محدودو الخبرة والتجربة .. »

ـ « نحن متفاهمان .. القوة الغاشمة حيثما تختلف مع العقل الراجح .. لكننا نحاول أن نصنع فريقًا .. »

جاءت الساقية العجفاء ـ التى نادها المأمور بـ (مولى) ـ بالشراب .. قالت للمأمور شيئًا عن عدم قانونية احتساء الشراب فى وقت العمل ، فأطلق سبة بذيئة .. وأردف :

ـ « أنا القانون هنا .. هل فهمت ؟ »

نظرت الفتاة بنوع من الإجلال والرهبة إلى العالم الأنيق ثم انصرفت ..

التفت المأمور إلى العالم ، وقال :

ـ « هل لى أن أفهم شيئًا عن علم الحشرات العدلى هذا ؟ »

قال (شوارتز) وهو ينظر فى أرجاء الحانة :

ـ « علم الحشرات العدلى Forensic Entomology هو ذلك العلم الذى يحاول استخدام الحشرات فى التحقيقات الجنائية .. يمكن القول أن تطبيقه بدأ عمليًا فى (اسكتلندا) عام ١٩٣٥ على يد الطبيب البريطانى (مورنس Mearns) الذى حدد الوقت الدقيق لمقتل امرأة وجدت جثتها المتحللة .. عامة نحن نعمل فى ثلاثة جوانب : الطب الشرعى ذاته .. والمدنى .. وتلوث المواد المحفوظة .. ناحية الطب الشرعى تختص بتعفن الجثث وأنواع الحشرات التى يمكن أن تهاجمها .. الناحية المدنية تتعلق ببعض الحشرات التى يمكن أن تحسبها إصابات .. أما عن تلوث المواد المحفوظة فنحن الموردة خطرون بالنسبة لمضايا عدم صلاحية الأغذية ..

www.liilas.com/vb3

« بالنسبة للجمهور فإن أكثر أجزاء عملنا إثارة هو المتعلق بفحص الجثث .. نستخدم ما نعرفه عن تحولات النمو ووزن اليرقات .. وهذا يحتاج إلى دقة فى التعامل .. لو وضعنا اليرقات فى محلول حافظ لانكمشت وتغير لونها وأعطتنا مؤشرات خاطئة .. يجب أن نضعها فى ماء مغلى لمدة عشر ثوان قبل أن نغمسها فى الإيثانول .. وباستعمال حسابات معقدة تضع درجة حرارة الجو فى الاعتبار نستطيع أن نحدد بدقة وقت الوفاة .. هناك أخطاء نعرفها جيداً .. مثلاً الجثة التى تحتوى الكوكايين فى أنسجتها تعجل من نمو اليرقات .. الجثة التى دهنت بالمراهم أو المشحمات تعطل نمو اليرقات .. بعض الذباب يفضل أن يبيض على جثث فى أماكن مغلقة .. لو وجدنا جثة فى العراء وعليها بيض هذا الذباب فإن هذا دليل لا يدحض على أن الجثة نقلت للخارج .. والعكس صحيح .. هناك من يقتل رجلاً فى الغابة ثم ينقل الجثة إلى بيت مغلق .. هذه أشياء لا تخدع عالم الحشرات الجنائى .. تجميد الجثث يفتضح معنا بسهولة لأننا لا نجد بيضًا ولا يرقات .. من الغريب ألا نجد حشرة فى جثة مضى على وفاتها أسبوع وتركت فى العراء .. هذا يعنى أنها كانت فى مكان مغلق

حتى تم اكتشافها .. الحشرات التى تمتص الدم تقدم لنا عينات ممتازة صالحة لتحليلها بتقنيات حمض DNA .. هكذا نعرف من امتصت دماءه بالضبط .. دعك من قدرتنا على تحليل السموم فى اليرقات لمعرفة أيها كان فى جسم الضحية .. إن اليرقات تمدنا بعينات السم فى وقت يكون فيه من المستحيل أن نجد بعضها فى أنسجة المريض .. »

قال المأمور فى خيبة أمل :

- « وهذا كل شىء ؟ »

- « ليس تمامًا .. إن كل حالة تعد فى حد ذاتها .. هناك آباء يعاقبون أطفالهم بدغدغات الزنابير .. تضحك ! هناك قصص موثقة ودقيقة جداً عن آباء قطعوا أشياء كهذه على سبيل الحماس التربوى .. نحن نثبت هذا لتعاقب هؤلاء الوحوش .. »

كان المأمور يبتسم لكنها ابتسامة ذات مذاق خاص جداً .. هو بالذات كان يعرف أكثر ممن سواه أن هناك آباء سادين مجانين .. والسبب بسيط .. أنه واحد منهم ..

يواصل العالم الكلام :

ـ « .. هناك مرضى فى دور المسنين والمصحات يُهملون حتى تتعفن جروحهم .. نحن نثبت هذا .. ماذا عن حوادث السيارات الناجمة عن دخول نحلة إلى السيارة ؟ نحلة معك وأنت تقود ! وهوب ! تنزلق السيارة لتتدحرج إلى جانب الطريق ولا يفهم أحد سبب الجنون الذى أصابك قبل وفاتك .. نحن قادرون على إثبات ذلك .. دعك من قدرتنا على تحديد المناطق التى مشت فيها السيارة .. إن الحشرات التى التصقت بالزجاج والراديتور تدلنا على مسارات محددة .. بعض الحشرات تخبرنا بدقة بالمكان الذى زرع فيه الحشيش الذى تم ضبطه »

ونظر إلى المأمور فوجد هذه النظرة الغبية .. هذا الرجل لا يفهم شيئًا على الإطلاق .. إنه الخبز يُلقى للكلاب من جديد ..

قال المأمور بعد فترة صمت :

ـ « يبدو لى أنك محترف حقًا يا (دوك) .. هل حصلت على شهادات فى هذا ؟ »

هز العالم رأسه بمعنى أن معه عشرات منها .. دعك من درجة دكتوراه فى علم الحشرات وأخرى فى الطب الشرعى ..

اسم (شوارتز) يتكرر بإلحاح كلما جاءت سيرة الحشرات الطبية هذه ..

أزاح المأمور وقد جرع جرعة قصار له شارب أبيض رغوى :

ـ « أنت تعرف لماذا أرسلوك .. لدينا اليوم ثلاث حالات غريبة .. كلها امتلأت بالحشرات برغم أنه من المستحيل عمليًا أن تكون الجثث قد تعفنت .. »

قال العالم :

ـ « لدى فكرة عن الموضوع .. ولهذا تقرر أن أقيم فى الفندق عدة أيام .. يجب فهم سبب هذه الظاهرة .. »

من جديد حك المأمور شعره ، وقال مهمومًا :

ـ « هناك مشاكل كثيرة فى الجوار ! لذا أطلب منك أن تبقى عيناك مفتوحتين .. »

« هل من تفاصيل ؟ »

« لا .. لن أقول شيئًا .. فقط كن حذرًا من الغرباء .. »

هنا تعالى من منضدة قريبة صوت يصرخ :

www.liilas.com/vb3

ـ « ولكنى أكرر لك أن هذا الشراب ساخن ! »

ودوى صوت الساقية العجفاء يحتج ..

ـ « أنا جلبته لك منذ نصف ساعة .. ليس هذا ذنبى ! »

هنا أعاد المأمور قبعته لرأسه ونظر لمصدر الجلبة ..

كان هذا رجلاً أشقرَ متين البنيان ، يبدو كبطل من أبطال أفلام الغرب .. لكنه كان متعكر المزاج عصبيًا .. واضح أنه صادق ومن طراز صريح جدًا .. كان المأمور يفهم الرجل بنظرة واحدة وقد أدرك على الفور أنه أمام رجل يمكن أن ترتاح إليه لكنه لم يكن على أتم استعداد على أداء دوره المزعج عاملاً .. إن الساقية تنتظر له مستلجدة ..

اتجه إلى المنضدة وهو يهز كرشه العملاق فى ثقة . هذه أمور يفهمها جيدًا ويستمتع بها . إنها بالتأكيد أفضل من الكلام عن السرقات فى الجثث المتعفنة ..

ـ « هل من مشكلة يا سيد ؟ »

قال الرجل الأشقر :

ـ « أنت سمعت مشكلتى .. »

قال المأمور :

ـ « نحن نعيش حياة من التفاهم هنا ، ولا أحب الصراخ فى الحالات .. إن لى سبعة عشر عامًا كمأمور فى هذه البلدة اللعينة .. »

كان الرجل الجديد يفهم الموقف .. رجال الشرطة المحليون هؤلاء لن يتفذوا القانون أبدًا على أهالى بلدتهم .. الغريب مخطئ ومجرم دائمًا ..

قال المأمور وهو يستند إلى المنضدة :

ـ « هل معك أوراق ؟ نحن لا نرحب بالغرباء فى هذه البلدة خاصة هذه الأيام .. »

ذات العبارة تقال منذ أيام رعاة البقر حتى اليوم ويبدو أنهم لن يتخلوا عنها أبدًا .. لكن الغريب أخرج أوراقه وألقاها أمام المأمور على المنضدة ..

ـ « اسمك (هارى شيلدون) ، خبير حاسبات ، من (فلوريدا) ! وماذا أتى بك هنا ؟ »

قال الغريب فى فتور :

www.liilas.com/vb3

ـ « هذا شأنى .. إنه موعد مع صديق .. وهو آت خلال يومين .. »

ألقى المأمور الأوراق على المنضدة ، وقال :

ـ « ليكن .. حاول ألا تثير المتاعب ولسوف تجد أن البلدة مريحة .. حاول أن تحدث شغبًا ولسوف تجدنى خصمًا مزعجًا .. »

نظر له الرجل باستعلاء ..

هنا تدخل د. (شوارتز) فى الحديث غير مدعو .. وجه كلامه للرجل الأشقر :

ـ « أنت غريب مثلى .. لكن أين تقيم ؟ »

ـ « فى ذلك الموتيل الحقير .. فوق محطة البنزين .. »

ـ « مصادفة عجيبة .. أنا أقيم هناك كذلك .. »

قال المأمور وهو يعود لمقعده :

ـ « عند (سكروج) .. لا غرابة فى هذا .. هذا هو المكان الوحيد الصالح للإقامة فى بلدة عمال المناجم هذه ، وهو مخصص على كل حال لمن يمرون بسياراتهم فيضطرون لقضاء ليلة واحدة .. وهل تعرف سبب قدوم صديقك هذا ؟ »

قال الأشقر :

ـ « إنه ليس أمريكيًا .. إنه طبيب مصرى يزور جامعة (أريزونا) الآن .. إنه فى (تيمب) لكنه آت .. لا أعرف سبب قدومه إلى هذا الوكر ، لكننا اعتدنا على أن نلتقى كلما جاء إلى الولايات .. »

ـ « مصرى فى (تلوير) ؟ هذا عجيب .. إن الغرائب لن تنتهى فى هذا العالم .. لم أسمع قط أن هذه البلدة صارت مزارًا سياحيًا .. »

ـ « إذن أنت تسمع الآن .. »

عاد المأمور إلى المنضدة التى كان جالسًا إليها ، وأفرغ ما تبقى من شراب فى جوفه مرة واحدة ، ثم قال للعالم :

ـ « أنت وجهت رفيقًا .. ربما اثنين .. أريك أن تفتح عينيك جيدًا .. هذه أيام شريرة .. أؤكد لك ذلك »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

-2-

- « مأمورهم ثقيل الظل .. »

- « يجب أن يتظاهر بأنه قوى الشكيمة .. هذه عقدة مزمنة عند رجال الشرطة الريفيين »

ثم ابتسم العالم بخبث وأردف :

- « أنت تعرف أننا جميعًا كنا فى طفولتنا نود أن نصبح رجل شرطة نحمل المسدس ونضع الشارة .. حسن .. لكننا نضجنا وبدأنا نرى العالم بشكل مختلف .. فقط المأمور رجل لم ينضج واحتفظ بالبهاء الطفولى القديم بالمسدس والشارة ! »

منذ البداية صار واضحًا أن خبير الكمبيوتر وعالم الحشرات قد تفاهما .. إنهما غريبان مثقفان فى هذه البلدة الخشنة نوعًا .. والطيور على أشكالها تقع ..

وقد التقيا على مائدة الغداء فى ذلك الموتيل المتواضع الذى يطل على محطة البلازين .. فى الطابق السفلى حانة (كافتيريا صغيرة) .. كل مكان هنا فيه حانة .. وهناك متجر صغير يبيع مشروبات غازية وحفاضات وحلوى .. تلك

الأشياء التى لا بد أن يتذكر راكب السيارة أنها ليست معه أثناء رحلته الطويلة .. ثم تجد درجًا يقودك إلى ممر .. فى أول الممر مكتب استقبال ينام عليه شاب من أصل مكسيكى .. لا عمل له إلا أن ينظر لك فى كآبة ويناولك مفتاح غرفتك ..

الفتاة التى تبيع الحلوى بالمتجر هى نفسها خادمة الغرف والصالة هنا لو كان شىء كهذا موجودًا .. إنها عصفاء نوعًا اسمها (بتريشيا) .. لها طريقة لا مبالية فى حمل صناديق الحلوى فى حد ذاتها .. إنها باردة جدًا تعطيك الانطباع بأنها قد تجز رقبتك بالمقص لو دفع لها أحدهم ربع دولار .. من الغريب أن لهذا طابعًا جذابًا فريدًا ..

صاحب الموتيل والمحطة نفسه عجوز متهالك يدين اسمه (جيلرى) .. لكنهم يطلقون عليه (سكروج) بسبب بخله .. إن اسم (سكروج) يتكرر فى الثقافة الغربية مقترنًا بالبخل من أيام (ديكنز Dickens) حتى أيام (دلانى) ..

- « المأمور يحب التظاهر بشدة البأس .. إنها وساوس الهيروين التقليدية »

ـ « وموضوع السبعة عشر عامًا .. يحب التظاهر بأنه مخضرم كذلك »

هذا ما يقوله (شوارتز) وهو يدخن لفافة تبغ أخرى ، بعدما انتهى من شرح حقائق علم الحشرات العدلى لـ (هارى شلدون) الذى لم يفهم شيئًا هو الآخر .. لكنه فطنها برقى وذكاء .. هناك نوع من عدم الفهم الذكى ليس شعاره (أنا غبى ولن أفهم حرفًا) بل شعاره (لنترك هذه الأمور للمختصين) ..

ـ « وصاحبك هذا .. المصرى .. قلت لى ما عمله ؟ »

ـ « طبيب بشرى .. لا أذكر تخصصه الحقيقة .. أعتقد أنه يعمل فى تخصص أمراض الدم .. إنه رجل ذو حيثية علمية ، وصديق عزيز .. لكنه كذلك من الذين يؤمنون بعوالم ما وراء الطبيعة .. يبدو أنه رأى الكثير جدًا .. أنا بنفسى واجهت معه بعض المشاكل .. »

ـ « جميل .. لكن ماذا يفعل هنا ؟ »

ـ « لم يعط تفسيرات .. قال إنه مضطر للقدوم هنا .. على كل حال صداقتنا تسمح بذلك .. إننى أثق فيه »

قال (شوارتز) وهو يشعل لفافة تبغ أخرى :

ـ « على كل حال .. أعتقد أن إقامتنا هنا ستكون ممتعة .. لا غنى لأحدنا عن الآخر .. إن هذه البلدة تبدو معزلا ومعموا فيه كل الحمقى ومتصلبى الرأى .. ولو لم أثق فلا بد أننى كنت سأفقد عقلى من السأم .. لكن مصادقة خبير كمبيوتر رأى العالم تختلف بالتأكيد عن مصادقة عامل مناجم لم ير العالم إلا من تحت الأرض .. »

ابتسم (هارى) لهذه المجاملة ..

لم يكون الطباخ بعد عن البلدة ، لكنه قدر أنها كائنة على الأرجح ..

★ ★ ★

هناك منجم نحاس كبير فى (سان ماتويل) قرب (توكسون) .. لكن (ديلوير) ! من يهتم بـ (ديلوير) ؟ لولا أنها تقع قرب (موريتسى) وفيها أكبر مناجم النحاس فى ولاية أريزونا لما سمع أحد عنها شيئًا ..

مجرد بلدة صغيرة هى بين النهر المالح وحدود المكسيك .. إنها تقع على أطراف الولايات المتحدة فى تلك

www.liilas.com/vb3

المناطق الجبلية الوعرة الجنوبية .. تلك المناطق التى كانت شمال المكسيك يومًا فصارت جنوب الولايات المتحدة ! فالولايات المتحدة كانت دومًا مولعة بالتمدد .. وفى كل مرة كانت حرب تكور بينها وبين المكسيك تنتهى بأن تقضم قضمة أخرى من تلك الدولة الأضعف .. هكذا نجد أن الولايات المتحدة ضمت لها الأريزونا عام 1848.. وقد شهدت الولاية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر محاولات انفصال جادة قام بها المواطنون الأصليون ، لكنها فشلت جميعًا طبعًا ..

على كل حال سوف نجد أن المكسيك انتقمت انتقامًا بسيطًا هو أن كل شىء هنا له طابع مكسيكى . أعلى جالية فى الولاية هى الهسبانيون .. هذا بصرف النظر عن حقيقة أن الولاية تضم أعلى تجمع من الهنود الأصليين (النافاهو Navajo)* .. الأسماء الإسبانية فى كل صوب .. أكثر الديانات انتشارًا هى الرومانية الكاثوليكية وهذا شىء غريب فى الولايات المتحدة البروتستانتية فى أغلبها .. ولو رأيت الصحراء فى لحظة بعينها ورأيت صبار (الشولا Cholla) لحسبت أنك فى المكسيك .. بعض الوجوه تشعرك بأنك هناك .. باختصار : هذه الولاية بالذات تشعرك بأنها لا تنتمى إلى أمريكا بحال ..

(*) نعم .. الاسم يدخل هكذا .. (نظاهو) لا (نافاهو) .

برغم أن منجم النحاس فى هذه البلدة قد نفد تقريبًا ، فإنه ما زال سخيًا بإنتاجه .. لا يمكن فهم هذا التناقض إلا إذا عرفنا أن منجم النحاس فى (يوتاه Utah) اعتبر مثلهيًا منذ قرن .. ثم بعد سنوات اكتشف أصحابه أن ما زال به ١٢ ألف طن من النحاس ! السبب هو أن النحاس فى المناجم المنسية يلتحم بالكبريت مكونًا كبريتات النحاس .. لكن هناك أنواعًا من البكتريا تهوى الكبريت ، وتنقض على كبريتات النحاس لتأخذ غذاءها وتحرر النحاس .. عملية أصل بيولوجية بارعة تقوم بها البكتريا لتعيد الحياة إلى المناجم التى حسبها البشر قد انتهت تمامًا .. كان البشر يتركون فى المنجم نحو ٢٠٪ من خاماته لأنه لا يمكن استخراجها ، فجاءت البكتريا لتعيد لهم هذه النسبة .. فى المكسيك جربوا البكتريا مع كومة نفايات مناجم لا قيمة لها ، فظفروا خلال شهر واحد بـ ٩٥٠ طنًا من النحاس ! فقط يضخ العمال فى المنجم الماء الغنى بالجراثيم ثم يقومون بشطفه بعد أربعة أيام ليجدوا النحاس وقد انفصل ..

على كل حال ساريحك اليوم ولن أتمادى أكثر .. لن أقدم لك أربع صفحات لإعطائك خلفية جغرافية تاريخية عن

المنطقة .. ربما فى سياق القصة نعرف ما هو أكثر عن (أريزونا) .. هذه الولاية المحظوظة .. محظوظة ! طبعًا .. إنها الولاية المختارة لتحدث فيها وقائع قصتنا الليلة ..

.....

الآن تعال معى إلى الشارع المظلم المسترق السمع إلى ما يقوله هؤلاء المراهقون ..

الشاب الذى يملأ التعش وجهه هو (بيلى) .. يبدو لى وسيمًا له ملامح مريحة ، لكن ما أعرفه عن المجتمع الأمريكى هو أن هذا الفتى ملهوذ اجتماعيًا .. تعش وعوينات وجسد هزيل .. هذا المسكين يعانى أقسى معاملة ممكنة ولا شك فى هذا ..

الفتى الآخر قوى البنية مقتحم .. فلا بد أنه يلقى حظًا أحسن فى هذا المجتمع العدوانى بطبعه .. اسم الفتى القوى (هارلسون) .. هناك فتى ثالث لا مذاق له أعتقد أن اسمه (جويل) .. هناك فتاة لا تروق لى، لكن من يهتم بآرائى فى هذه الحياة ؟! بالنسبة لهم هى نموذج صارخ للجمال الأمريكى ..

إنهم يقفون هناك قرب محطة البنزين يتهامسون ..

يقول الفتى قوى البنية :

ـ « الأمر واضح .. أنا طلبت من (جيمى) ألا يلحق بهم .. تكلمه فعل »

قال الفتى النحيل :

ـ « أنت وضعت الأمر فى صورة التحدى .. ولم يخلق بعد المراهق الذى يرفض تحديًا .. »

ـ « كما لست مراهقًا .. »

ـ « هذه أهم علامات المراهقة .. الإصرار الغبى على أنك لست كذلك .. »

الفتاة وهى تضع يديها فى خصرها :

ـ « دعكما من هذا الهراء .. ثلاث حالات لأشخاص ركنوا الصندوق (هذا تعبير علمى محلى يعنى الموت) .. يقولون إن الشيطان قد حل بـ (ديلوير) .. إنهم يتعطلون وهم أحياء .. نحن كنا مع (جيمى شاريتون) قبل هذا بيوم واحد .. من المستحيل أن يكون قد مات وتعفنت جثته بهذه السرعة .. »

www.liilas.com/vb3

ـ « يقولون إن هناك رجلاً مهمًا جاء من (فينكس) لهذا الغرض .. »

ـ « هل هو طارد أرواح شريرة ؟ »

ـ « لا .. يجمع حشرات وأشياء من هذا القبيل .. »

ـ « لا بد أن هذا مثير .. »

قالتها بطريقة مثول لا توحى على الإطلاق بأية إثارة فى الموضوع .. الحقيقة أن المراهقين فى أمريكا يمرون بحالة مثل مزمنة فلا يقدر أى شىء على تحريك مشاعرهم .. Bore .. هذه هى الكلمة السحرية .. كل شىء عندك المدرسة .. الفيلم .. الحفل .. الأسرة .. حتى حبيبها إن لم يكن وقحًا بما يكفى تعتبره مملاً .. هذا جيل رأى كل شىء فى التليفزيون وجرب كل شىء .. فى النهاية صار من المستحيل أن تثير اهتمامه ..

قال الفتى النحيل (بيلى) :

ـ « كما قلت لكم .. لقد أراد أن يقترب ليرى .. لكنه احترق .. من الحكمة ألا نخبر أحدا على الإطلاق بهذا الموضوع .. إن الإغراء سيكون شديدًا .. »

قالت الفتاة فى عصبية :

ـ « هل تفترض أننا الوحيدون الذين يعرفون السر ؟ »

ـ « بالتأكيد .. »

وابتلع ريقه ونظر حوله .. الظلام الممتد إلى ما لا نهاية .. فقط بقعة الضوء المخيفة التى تمثل محطة البنزين .. لو لم تكن هناك لبدا المشهد مطمئنًا أكثر ..

وأردف :

ـ « لا أحد يهتم لأمر سوانا .. هناك من يعرفه وهناك من يعرفه وهناك .. من مصلحتنا ألا نخبر أحدا أولاً .. ومن مصلحتنا أن نتمسك بحكم الاقتراب أكثر .. »

داعبت الفتاة شعرها الطويل المتهدل على خصرها وقالت :

ـ « إذن ! »

ـ « لنعد لبيوتنا ولننسى هذه الليلة .. لقد تسلينا بعض الوقت لكن هناك لحظة ما .. »

تبادل الفتى قوى البنية نظرة مع الفتاة وشاعت بسمة خبيثة سافرة بعض الشىء فى العيون .. لم يفت (بيلى)

www.liilas.com/vb3

أن يلاحظها .. هما لا يبالیان بشيء من هذا الهراء .. سيتصرفان على مسئوليتهما لأنهما أشجع ولأنهما يعتبرانه جبانا كالدجاجة ، ولأنهما يبحثان عن المرح .. ولأنهما يشعران بالملل .. الفتى القوى الوسيم والحسناء معًا فى الليل بينما لا مكان للضعفاء المصابين بالتمش ..

لو لم تكن قد لاحظت بعد أن الفتى (بيلى) يهيم بالفتاة فأنت فى مشكلة .. اسمها (ستاندرا) .. وهى تمثل له عذابًا مقيمًا لا ينتهى .. أحيانًا يتمنى لو ماتت لتعود حياته لهدوئها السابق . دعك من أنها لا ترضى أن تجعله يقترب منها .. إنها تهرب دائمًا على مسافة دانية منها لتثير خيال العشاق المهمين الحقيقيين مثل (هارلسون) و(ستيف جيامور) ..

كان قد رأى الكثير من أفلام الرعب فى التليفزيون وعرف أن هذين - (هارلسون) و(ستاندرا) - متناسبان دائمًا لتبدأ أحداث الفيلم المرعبة بهما .. سوف يمزقهما المسخ تمزيقًا أثناء نقالهما فى الداخل .. لكن هل هناك مسخًا حقًا فى (موريتسى) ؟

الآن فقط يتمنى ذلك ..

★ ★ ★

لم يمت (جوزيف شوارتز) من الفضاء الخارجى .. وعلى الأرجح لم يخرج من باطن الأرض ..

كان عالمًا بارعًا .. لكنه زوج فاشل .. هذا نمط شائع أكثر من اللازم ، ولكنها الحقيقة .. لا يعرف السبب فى فشل زيجته .. هل فشلت لأنه كرس حياته كلها من أجل العمل أم هو كرس حياته للعمل لأن زيجته فاشلة ؟!

بهذا المنطق الأخير فهو مدين لزوجته لأنها استطاعت أن تصنع منه رجلًا مرموقًا .. الكلاب المسعورة قد تجعل منك بهلوانًا فى السرك .. ويبدو أن هذا هو الحال معه ..

إنه يفشل فيدرس بإصرار أكثر .. يفشل فينكب على العمل .. يفشل فيسهر بحثًا فى المراجع .. ولأنه منكب على العمل ولأنه ينقب فى المراجع تفشل زيجته أكثر ..

وفى النهاية يدرك أن علاقته بزوجته قد صارت متشابكة معقدة كأنما ألف حبل قد التف حولها .. يحتاج الأمر لعدة أعوام حتى ينجح فى فك كل هذه العقد ..

فى كل مرة يحاول أن يفك عقدة أو عقدتين وهى قد تحاول هذا ، لكنهما كانا يدركان أنهما قضيا بضع ساعات

www.liilas.com/vb3

فى عقدة واحدة .. وأن عشرات العقد تكونت فى هذه الأثناء .. لأن الاعتذار قد يسبب المزيد من سوء الفهم !!

وهكذا أدرك وأدركت أن هناك طريقة واحدة لفك العقد بشكل جذرى : القطع ..

الآن تم الطلاق .. وصار هذا الرجل الوسيم حرًا .. لكنه لا يرغب البتة فى أن يبدأ علاقة جديدة أو يتزوج ثانية .. لقد أضناه فهم هذا الكائن المعقد : الأنثى .. واعترف لنفسه بالعجز .. إن الذئاب أكل اللحم والفئران كائنات بشعة لكنها مفهومة وواضحة ..

تأمل وجهه فى المرآة المعلقة فى الحمام ..

إنه وسيم فعلاً .. هو يدرك هذا .. وسيم وناجح .. لكنه فشل فى الشىء الذى استطاع أبوه أن ينجح فيه ..

تنهد وجلس إلى المنضدة الصغيرة وأعد المجهر وزجاجات العينات .. لقد غمس اليرقات فى ماء مغلى ، ثم وضعها فى الإيثانول .. هذا مهم كى لا تتعفن أو يتغير لونها كما قالت .. هكذا أخرج العينات .. بحث عن مصدر للكهرباء فأوجد القابس فيه ، ثم مد يده يلتقط اليرقة الأولى .. يرقة ذبابة الفرس ..

وضعها تحت المجهر وراح يتأملها ثم راح يدون ملاحظاتها فى مذكرة صغيرة يحملها .. جواره على المنضدة الترمومتر ومقياس الرطوبة .. وبالاستعانة بجداول خاصة يمكنه قياس عمر هذه اليرقة ..

والآن تكلمى يا حلوتى .. قولى كل شىء عن أسرارك ..

كان يكلم اليرقة .. ويبدو أنها استجابت له بعد قليل ..

★ ★ ★

(جوناثان) تشاجر مع زوجته

هذا يحدث كثيرًا على كل حال .. ماذا تنتظر من رجل فقير عاجز يمر بكل هذه المشاكل ؟ عندما تتشاجر فى العمل تطرد .. عندما تتشاجر فى الشارع تضرب .. عندما تتشاجر مع المأمور يسجنك .. هكذا لا يعود للمرء من موضع يتشاجر فيه إلا بيته .. مع زوجته الحبيبة ..

إنه يعيش فى وكر قذر .. أقذر مكان يمكن أن تتصوره .. وهذا فى حد ذاته كفيل بأن يجعل الحياة تشبه الجحيم .. لا .. إنها الجحيم بعينه ..

www.liilas.com/vb3

ليس فى الأمر جديد إذن .. إنها حياة الفقراء فى كل مكان وزمان ، لكن فى الدول الغربية تضاف لغة التحول إلى هذا كله .. وهكذا تضيف إلى النار المشتعلة أساسا جرعة لا بأس بها من تلك السائل اللعين سريع الالتهاب .. هكذا يفقد الرجال التحكم فى أنفسهم .. هكذا يضربون زوجاتهم وأطفالهم .. هكذا يصرخون ويركلون ويسبون ويلعنون ، ثم يغلبهم الإنهاك فيرتمون على الفراش حتى اليوم التالى ..

هل سمعت الشتائم ؟ من حسن حظك أنها باسبانية .. (جوتيريز) كما يوحى الاسم مكسيكى الأصل .. إن أسرته هنا منذ زمن سحيق .. يعمل فى المنجم .. ولا يكسب ما يكفى لإطعام كل هذه الأفواه .. لهذا ينفق كل ما يكسبه على الشراب لأن المعركة خاسرة على كل حال ..

لقد تشاجر مع (ماريا) وأوسعها ضربا .. لها أسنان قوية يمكن أن تتلقى عدة ضربات فلا تتهشم .. لها شعر أسود جميل طويل يمكنه أن يجرها منه على سبيل التحية لرجال الكهف ..

كانت جميلة يوما ما لكن الفقر والعذاب جعلاها أقرب إلى وحش آدمى يتلصص من بين الأحراش عليك .. هذا وجه مناسب جدا لتوجيه الكلمات .. ربما يتمسك الطفل بسراويلك فى رعب .. عندها يمكنك أن توجه له ركلة ..

كل هذا الصراخ والسباب ثم تكتشف أن الدار خالية لا أطفال ..

تخرج إلى العراء .. الظلام .. النجوم .. من بعيد تنتشر الجبال بالثلوج .. وهذا الجو الذى يطلقون عليه (الصيف الهندى) .. الجو الذى يعرفه الأمريكان جيدا .. وهو كذلك فى عرفهم رمز لكل شىء جميل .. هادئا قرب نهايته ..

ترتمى على الأرض ووجهك نحو السماء .. الزجاجة النارية تنزلق من بين أناملك .. تنظر للسماء وتضحك .. تغنى بصوت عال كى لا تسمع صوت المرأة والطفل الباكيين داخل الكوخ ..

أنت فقير يا (جوتيريز) لكنك يوم تموت لن تذهب للجنة فأنت رجل فقط سكير .. لو دخلت أنت الجنة فهى متاحة لأى شخص آخر .. كلا يا صاحبى .. إن الجحيم ينتظرك .. لا شك فى هذا ..

www.liilas.com/vb3

تغيب عن الوعى .. ثم تفتح عينيك لترى ذات الليل البهيم والنجوم وتلك الأضواء من بعيد ..

(يتيح ! يتيح !)

غريب صوت الطبول هذا ..

تسمعه فى كل ليلة منذ شهر لكنك لا تعرف كنهه .. من الغريب أنه يأتى من موضع ما فى وعيك .. كأن هناك دومًا كخلفية للياتى السابقة .. لكنك الآن تتساءل عن مصدره ..

تحلم من جديد ..

العرق .. النتن .. المصعد يهبط بك ومعك رفاقك .. المنجم العجوز الذى لم يبق فيه الكثير .. الرطوبة والإضاءة المتراقصة من المصابيح المعلقة .. أنت تتزلق نحو الجحيم ..

ثم ...

هذا الشعور الغريب .. هذا الوهن ..

أنت لا تحلم .. بالفعل أنت تشعر بوهن .. لكنك لا تعرف السبب ..

ثم يدك تتحسس عنقك دون أن تفتح عينيك .. هذا الألم المعارل فى الرقبة .. أنت راقد على ظهرك خارج الكوخ مغمض العينين ، لكنك تشعر بما يحدث ..

شىء ما يلصق فمه بعنقك ويمتص الدماء !

(يتيح ! يتيح !)

هذا هراء .. لا يوجد شىء كهذا ..

لكنك تشعر به وتعرف أنه حقيقى .. تفتح عينيك لترى الليل البهيم والظلام والجبال من بعيد .. لكن شيئًا ما يحجب ذلك المشهد ..

إنه الثلج .. هناك من يجثم فوقك ويشرب الدم فى نهم ..

وأنت تزداد ضعفًا .. الضعف مع الدوار الذى سببه التحول لك .. أضف لهذا شيئًا لا يمكن تفسيره .. كأن هذا الشىء قد حقنك بمادة مخدرة تجعلك عاجزًا عن الصراخ ..

السائل الأحمر يتسرب إلى ذلك الشىء ..

لا تستطيع الصراخ .. فقط يخطر لك خاطر مضحك هو أن دمك سوف يسمم هذا الأحمق بالتأكيد .. هذا مضحك ..

www.liilas.com/vb3

تصور أن ..

فيم كنت تفكر ؟ لقد نسيت ..

لم يعد هناك من واقع .. الحياة كلها قطعة من زجاج شفاف أسود ..

والظلام يتزايد ومعه يتلاشى إدراكك لكينونتك .. جربت هذا الشعور مرارًا لكنها المرة الأخيرة كما هو واضح ..

كما ..

هو ..

واضح ...

* * *

-3-

القس أيضًا يشعر بقلق ..

الأب (ميلروى) الذى سلم قلة المترددين على كنيسته بدأ يشعر بشىء مقلق هذه الأيام .. كان ينتمى لجماعة المصدقين ، لذا كان عليه أن يواجه حقيقة أن حظ كنيسته ضعيف فى هذه الولاية .. وقد اعتاد أن يقف فى شرفة بيته المطلة على الحديقة ويدندن لنفسه بصوت خافت أغنية شعبية من أغانى البوتقة :

- « هؤلاء الناس الوحيدون .. من أين يأتون ؟ ولأين يذهبون ؟

• (إيلانور رجبى) .. تجمع الأرز فى الكنيسة حيث كان الزفاف ..

وقف فى النافذة ..

الوجه ، وجهها الذى تحتفظ به فى جرة جوار الباب ..

www.liilas.com/vb3

الأب (ماكنزى) يكتب كلمات موعظة لن يسمعها أحد أبدًا .. فلا أحد يدنو منه ..

أنظر اليه وهو يرتكن جواريه فى الليل حيث لا أحد هناك ..

(إليانور رجبى) ماتت فى الكنيسة ودفنت ومعها دفن اسمها ..

الأب (ماكنزى) ينفض الغبار عن يديه وهو يغادر قبرها ..

ثم يتم خلاص أحد ..

هؤلاء الناس الوحيدون .. من أين يأتون ؟ وأين ينتهون ؟ »

كان يشعر بأنه الأب (ماكنزى) ذاته .. ولطالما جلس بالفعل يرتكن جواريه فى الليل (حيث لا أحد هناك) ..

كان يحب مراقبة الطيور ؛ ولذا أعد لها أكثر من موضع للشرب فى حديقته .. ثم تعلم أن يتوارى وراء ستائر النافذة ويراقبها بالمنظار المقرب .. لعل هذه تسليته الوحيدة .. لكنه فى الفترة الأخيرة لاحظ أنها تقل بشكل مستمر .. دعك من المرة التى وجد فيها طائرًا ممزقًا فى حديقته بالذات ..

إنها القطط .. ربما ..

لكن هذا لم يمنعه من الدهشة ؛ لأن القطط لا تقص ضحاياها إلى نصفين كأنما تفعل هذا بمقص حاد ..

ثم بدأ يجد جثث القطط ذاتها ..

قطط ممزقة إلى نصفين فى فناء حديقته .. لا أحد يفعل هذا بكامل قواه العقلية .. لكن هناك احتمالا آخر .. إنه يعرف أساليب الشيطانيين Satanics .. جثث القطط كانت دومًا من الوصفات المفضلة لدى هؤلاء .. جثث القطط المطلية المسلوخة ..

هل يعنى هذا أن هناك من يمارس شيئًا كهذا فى بلدته بالذات ؟! هذا مخيف ..

إن هذه الفكرة تشعره بالاختناق ..

لذا حمل أسئلته وشكوكه إلى المأمور .. لكن هذا الأخير أم يبد مندهشًا .. يبدو أنه تلقى بعض الشكاوى وبالنسبة له ربما الأمر متأخرًا جدًا وآخر من يعلم ..

وساله الأب (ميدروى) فى رعب :

« هل تعتقد ما أعتقده ؟ »

www.liilas.com/vb3

قال المأمور بطريقته الفظة :

ـ « لا أعرف يقيناً ما تعتقده أنت .. لكنى أعرف شيئاً واحداً .. ثمة شىء قذر يجرى فى هذه البلدة .. هناك جثث .. جثث خالية من الدم أو بداخل فى التكويد .. هناك كلام عن شباب يمارسون أشياء غريبة .. إن لى سبعة عشر عاماً كمأمور لكنى لم أر شيئاً كهذا قط .. »

ثم وضع يده على كتف القس ، وقال فى مرح :

ـ « لو كنت تؤمن بالمواجهة النهائية مع الشيطان أيها الأب فلتهنأ بالا .. يبدو أنك ستعيش لتراها !! »

لكن الأب لم يشعر بأدنى رغبة فى الضحك لدى سماع هذه الكلمات .. ثمة شعور ما يراوده بالنهاية .. النهاية التى يشعر بها الجالسون فى السينما فيجمعون حاجياتهم ويرتفع دوى مقاعدهم .. النهاية التى تجعل التلاميذ يتململون فى نهاية الحصة قبل أن يسمعوا الجرس ..

القصة تدنو من نهايتها .. لكن أية قصة ؟

لا يستطيع أن يخمن ..

★ ★ ★

بالنسبة للأستاذ (رتشاردسون) كان هذا الجو الذى يطلقون عليه (الصيف الهندى) هو أجمل ما مر به فى حياته ..

(الصيف الهندى) .. عندما تدنو الأمور من نهايتها تصير ألطف وأخف .. وهذا هو ما يعنونه بهذا المصطلح ..

إنه معلم البلدة .. وهو يؤمن بأن التدريس أهم مهنة فى العالم .. هذا صحيح ، لو كان يتعامل مع أرض أكثر خصوبة ولو قليلاً .. لكنه يتعامل مع أرض جدبة قاحلة فى تلك المجموعة من الصبية أبناء عمال المناجم ، لا يمكن أن تنبت بذرة فى هذا الوسط القاحل .. مستقبلهم غير معد وعلى الأرجح لن يكون أحدهم شيئاً إلا ما كانه أبوه .. يصير عامل مناجم هو الآخر ..

إنهم شديدو الظاظة وقحون لا يهتمون بشىء .. ولم تكن علاقته بهم طيبة .. كان صغير الحجم واهن الصوت وبالتأكيد لم يكن أفضل من يستطيع السيطرة على هذه الوحوش .. لذا لجأ إلى الحيلة البسيطة المعروفة : جعل منهم أصدقاءه .. كان يمازحهم ويتبسط معهم .. واتخذ من أدرسهم وأقواهم صديقاً حميماً له ..

www.liilas.com

هكذا على الأقل أمن شرهم ، لكنه كان عاجزًا عن تعليمهم أى شىء ..

منذ أسبوع لبدى امتعاضه لأن رائحة كريهة تتخلل الفصل من النافذة ، فقال له أحدهم ضاحكًا :

ـ « هذه الرائحة خير من رائحتنا على الأكل ، ربما كان من الأفضل أن تعتاد هذه ! »

ولم يكن كلامه بعيدًا عن الحقيقة ..

كان هناك طلبة واعدون نوعًا مثل (بيلى) ، فتى ذكى من الطراز المطلوب عليه فى الصف .. (هارسون) نموذج للبلطجى قوى البنية الذى يروق للفتيات ويمكنك الظفر بحمايته ! لذا لا تحاول أن تستفزه .. (جيمى شاريتون) كان خنزيرًا وغدًا .. أحيانًا يجيد الموت التقاء ضحاياه .. أحيانًا يعمل الموت مثل العصفور الذى يلتقط حبوب القمح من بين الأعشاب .. وأحيانًا يلتقط الديدان والآفات الضارة .. على الأقل بالنسبة للفتى المذكور عامله الموت كآفة ضارة وتخلص منه ..

فى الصباح كان مقعد الفتى خاويًا ، ودخل أحدهم من الباب ليصيح :

ـ « لقد وجدوا جثة (جيمى شارتون) ليلة أمس .. لقد مات ! الشرطة كانت هناك ! »

كان أغلب الطلبة يعرف ما حدث .. بكت فتاتان .. لكن الأستاذ لم يكن قد سمع شيئًا عن هذا .. إن البلدة صغيرة لكنه كان أميل إلى العزلة .. ولم يكن يسهر حيث توجد الأخبار ..

ـ « مات ! كيف ؟ »

ـ « لم يعرفوا بعد .. لا توجد جروح فى جسده .. »

قبل مراجعة تفكير جيده .. أمس فقط كان الفتى يجلس هنا ويمزح مزاحًا وقحًا .. كان ملء السمع والبصر .. كان موجودًا جدًا لو شئت الدقة .. فى كل مرة يتكرر فيها هذا الموقف نشعر بالرهبة كأنها المرة الأولى ..

وكان قد كون نظرية بسيطة عن سبب وفاة الفتى .. هناك مخدرات فى هذه البلدة .. وكل مراهق أمريكى قد جربها فى وقت ما .. الجرعات الزائدة تفسر كل شىء ..

حياة لا تطاق .. حرب مستمرة فى عالم من البلطجية والمدمنين ، وكل هذا بلا ثمن ما ..

www.liilas.com/vb3

لكن عندما يعود لداره كانت حياته تختلف كلية ويؤمن بأنه محظوظ ؛ لأن (كلاريسا) كانت هناك .. امرأته الرقيقة الحسناء التى تراه أهم رجل فى العالم ..

(كلاريسا) ذات الشعر الأسود والعينين الواسعتين والضحكة المشرقة والرائحة العطرة .. إنها تعمل فى المتجر الصغير الموجود فى الشارع الرئيس ، لكنها تعود للبيت قبله دائمًا ..

(كلاريسا) الحنون .. مشكلتها أنها تريد أن تكون أمًا .. هذا النوع من النساء هو كتلة من الأمومة المجمدة التى تنتظر الفرصة لتسيح حنانها على طفل .. وهو يرغب فى إرجاء الإنجاب بعض الوقت ، فهو فى الخامسة والثلاثين .. ما زال أمامه بعض الوقت ليستمتع بحياته قبل أن يفكر فى تعقيد حياته بطفل يعوى ليلاً .. لكنه يعرف حاجتها الملحة .. إنها أم .. حتى لو لم تنجب ستظل أمًا .. حتى لو فقدت رحمها ستظل أمًا ..

قالت له وهى تعد العشاء :

ـ « البلدة تمر بظروف غريبة .. (جيمى شاريكون) مات .. ثم عامل مناجم يدعى (جوتيريز) .. أسمع هذه الأخبار فى المتجر لأن الكل يثرثر .. »

ثم أضافت وهى تتخذ مكانها على المنضدة :

ـ هناك غريب حسن المظهر .. غريبان حسنا المظهر .. يبدو أن أحدهما عالم مهم من (فينكس) ..

قال فى امتعاض وهو ينقل البطاطس المسهوكة لطبقه :

ـ نحن لا نحتاج إلى علماء .. نحتاج إلى رجال شرطة حقيقيين .. بدلا من هذا الخنزير البدين الذى يتظاهر بفهم كل شىء ..

ـ ليس رجلاً سيئًا لهذا الحد .. يبدو لى محترفًا ..

ـ نعم .. محترف فى التظاهر بالاحتراف .. لكن أشهر هيرة مرت به لا تزيد على مطاردة الصبية الذين هشموا زجاج المتجر بالحجارة ..

ثم فكر فى جشع ، وقال :

ـ سوف يكون من الممتع لو استمر وباء القتل هذا حتى أقرع من يلقى طلاب الصف .

« ومن قال إنه قتل ؟ »

نظر لها وابتسم ..

[يوجد ـ « وراء الطبيعة » عدد (٦٦) أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك]

www.liilas.com/vb3

ـ « هل تعتقدين أن كل هؤلاء ماتوا بالصدفة ؟! »

وقال لنفسه : من السهل أن يزل لسان القاتل أمام المحققين .. هذا الخطأ الشهير : أنا لم أقتل (جاك) أيها المفتش .. ومن قال لك إنه قتل ؟ إذن أنت القاتل ..

لو كانت تمتحنه فقد وقع في الفخ

(بانج ! بانج !)

من أين يأتي صوت الطبول العجيب هذا ؟!

★ ★ ★

www.liilas.com/vb

-4-

فى الليل عند الجسر القديم ..

يمكنك أن تتخيل المشهد بسهولة ، لكن عليك أن تضيف إليه كميات هائلة من الظلام والأضواء الخافتة .. أولاً هناك المنجم .. إنه من معالم البلدة كما تعرف .. المدخل الرئيس له الذى يقود إلى المصعد .. هناك النهر الجاف الذى تحول إلى لحدود عميق .. يبدو أنه كان يصب فى الماضى فى نهر (جيلا) الذى يصب بدوره فى نهر (كولورادو Colorado) ، وهناك الجسر الذى يصل بين ضفة ذلك النهر ومدخل المنجم ..

خلف المنجم يوجد عدد من القباب المظلمة التى تبدو كمستبق لهام .. إنها أكواخ هنود (الناقاهو) وأكثرها مهجور ..

هناك تلك المساحة الشاسعة التى تقع أمام المنجم .. وهى تذكرك بأجواء الغرب القديمة .. يسهل أن ترى عربة قديمة ورجالا يصفون الماء عبر الغرابيل بحثًا عن الذهب .. يسهل أن ترى الهنود الحمر ومعركة بالمسدسات ..

هذا مشهد يمكنك تخيله .. لكنك لن تراه بالتأكيد .. فى هذا الليل البهيم يمكنك فقط أن ترى أول الرجال وهو

يقترب .. إن الصبار فى كل مكان لهذا يسهل عليك فى البداية أن تخلط بين الرجل وأحد هذه النباتات .. صبار (الساجارو Saguaro) العملاق لا يصعب عليك أن تتخيله رجلاً يقف وذراعاه إلى جانبيه ..

هناك مشعل عملاق يتوهج حيث غرس فى الأرض وسط الساحة الخالية .. هو مصدر الظلال الغامضة التى دارت هناك ..

الرجل يقترب من المشعل ويقف ..

ومن بعيد يقترب الرجل الآخر .. المشكلة مع هذه الظلال أنت لا تتبين أى وجه من الوجوه .. فقط ترى القامات وتدرك أنها قارعة قوية ..

من بعيد يقترب رجال آخرون لكن فيهم شيئاً يحيرنى .. هل تراه ؟ رأس هذا الرجل لا تبدو متناسبة مع حجم جسده .. إنها كبيرة جداً أو لعل رقصة الظلال هى ما يوحى لى بذلك ..

ثمة فتيات يقترين .. دائرة تتكون حول المشعل المتراقص .. ثم دائرة أخرى تشترك معها فى المركز ..

إنهم يرفعون أيديهم إلى جوانب الأجساد .. إن أصابعهم تتلامس ..

لا بد أن عددهم لا يقل عن أربعين .. والمذهل فى الأمر أن كلمة واحدة لم يتم تبادلها منذ ربع ساعة .. هؤلاء قوم يعرفون جيداً ما يفعلون وفعلوه مراراً ..

بدا بعد قليل أن أحداً لن يأتى .. لذا ساد الصمت برهة .. فقط ظلت الأيدى متلامسة .. ثم فجأة ..

انفجر الجمع فى أغرب رقصة يمكن تصورها .. إنها تبدأ ببطء وبصاحبها إيقاع خافت أقرب إلى (بانج ! بانج !) .. ليست هذه بالتحديد بل هى أقرب إلى صوت قرعات على علبة معدنية ..

قرعوس للتمارين .. نوع من (الأوفوريا) يغمر الجميع ثم يتسارع الإيقاع ببطء ..

الآن تفتح الدائرة الخارجية ببطء فتلتحق بها الدائرة الداخلية .. ثم تنطلق الدائرة الداخلية ويبقى الفراغ بين الدائرتين واسعاً .. يسمح بأن تنفصل فتاة وتركض ركضاً بين الدائرتين ..

لو سمعت لنفسى بتقريب المشهد لقلت إنه يشبه لعبة (الغميضة السحراوى) التى كنا نلعبها فى المدرسة .. لا ينقصها

www.liilas.com/vb3

إلا أن تلقى الفتاة بمنديل وراء أحد الجالسين وتعود لموضعها قبل أن يلحق بها ..

لكن هذا لا يحدث لحسن الحظ وإلا بدا الأمر سخيفاً .. فقط هى تتم الدورة ثم تعود لمكانها وتخرج فتاة أخرى ..

★ ★ ★

وهنك عند فتحة المنجم المغلقة فى هذه الساعة يمكنك أن تتخذ موضعاً بالتوراميا ممتازاً يشبه موضع (لـابليون) فى موقعة (أوسترليتز) .. يمكنك أن تراقب ما يحدث من عل وأنت نائم على بطنك تحاول ألا تتحرك أو ترفع رأسك فيراه أحدهم ..

ـ « هل ما زالت معك بعض الحلوى ؟ »

ـ « أخفض صوتك .. »

ـ « الطقس بارد .. أنا بحاجة إلى السكر .. »

ـ « هك .. ولكن حاول ألا تتضم بصوت عال .. »

ـ « هل تعرفين أحدهم ؟ »

من الصعب فى بلدة يبلغ تعدادها أربعمائة شخص ألا تعرف الجميع .. فى مصر لا ننظر بجدية إلى تعداد سكان يقل عن ثلاثين ألفًا ، لكن المساحات شاسعة بالفعل فى الولايات المتحدة .. وهنك بلاد كاملة لا يتجاوز عدد سكانها أفراد دفعتك فى الكلية .

لكن (ساندرا) بالفعل لم تستطع تحديد أى اسم .. إنه الظلام .. إنها المسافة ..

عشر (ساندرا) بلعم رائعة .. أربعون شخصاً فى بلدة تعدادها أربعمائة .. احتمال واحد فى العشرة أن يكون أحد هؤلاء الواقفين زميلها فى المدرسة .. ربما هم جميعاً .. لكنها لا تستطيع أن تحدد ..

كان (هارلسون) يرتجف من البرد فعلاً ..

قالت له وهى تمسك بيده :

ـ « يا لك من مسكين .. هلم أمسك يدى .. إنها دافئة »

ضايقه هذا كثيراً .. المفترض أن يمنحها هو الدفء والاطمئنان لكن العكس ما حدث ..

www.liilas.com

كانا قد فعلا ما توقعه (بيلى) بالضبط بلا زيادة ولا نقصان .. عندما تفرق الباقون تسللا إلى ذات الموضع ليريا ذات السر الذى رأياه منذ أيام فى تلك الليلة .. عندما تعاهد الأصدقاء على الصمت ..

إن المشهد الرهيب قادم الآن ..

يعرفان هذا لأنهما رأياه فى تلك الليلة .. وهو سبب المشكلة ..

(جيمى) كان مندفعًا أحمق ، وقد قال إنه لم يخف لدى رؤية المشهد .. تحداه (هارلسون) علانية .. قال له إنه لن يجسر على أن يعود فى ليلة أخرى ليرى ذات الشىء ..

كانت هذه هى نقطة اللاعودة .. أن تتحدى مرافقًا مضاه أنت تأمره بالشىء الذى تتحداه به .. وقد أعلن (جيمى) فى ثقة أنه سيعود ليرى أفضل ..

كانت المناقشات الحامية قد دارت بينهم حول حقيقة هذا المشهد ..

ـ « كان (مانسون Manson) زعيم الهيبيز يصطحب أتباعه إلى واد مقفر .. حيث يسقيهم عقلهم بالمخدرات .. ويقنعهم بأنه المسيح .. »

ـ « نحن لم نر شخصًا يتقلون حوله .. »

ـ « لكننا ـ بالله عليك ـ ندرك يقينًا أن ما رأيناه كان طقوسًا دينية .. »

ـ « ولماذا ؟ »

ـ « لأن الناس لا يتصرفون بهذه الكيفية فى مسيل المرح .. هذا ليس حفلاً خلويًا لو فهمت ما أعنيه »

قالوا يعرفون أن هذا حقيقى .. التجمع الليلى والرقصة والطقوس .. كل هذا يوحى بجماعة دينية سرية ما .. هذا هو أقرب تفسير لما حدث .. لكن من هم ؟ أعبدة شيطان ؟!

ـ « عبدة الشيطان يطلون صليبًا مقلوبًا ويرسمون نجمة خماسية .. »

ـ « هذا ما تراه فى السينما يا أحمق .. لا يوجد دليل واحد على أن هذا يحدث فعلاً .. »

ثم جاء السؤال الأكبر :

ـ « هل نبلغ الكبار ؟ »

www.liilas.com/vb3

ساد الصمت .. كان من الواضح أنهم لن يقطعوا ذلك .. إن هذا أولاً لك يجلب عليهم المتاعب .. ثانيًا هم لا يعرفون حقًا ما يحدث وقد يسببون الأذى للبعض .. دعك من حقيقة أنهم قد يجدون هذا مسليًا وقد يتضمون له يومًا ما !

* * *

Bore .. هذه هى الكلمة السحرية .. كل شىء كذلك .. المدرسة .. الفيلم .. الحفل .. الأسرة ..

* * *

لكن (جيمى) فعلها ..

من المؤكد أنه فعلها .. وفى اليوم التالى كانت تلك الجثة الراقدة تحت المطر الخفيف .. لم يقل أحد كيف قتل إن كان قد قتل .. لكن الفتية عرفوا أنه على الأرجح مات لأنه عرف أكثر من اللازم ..

وبرغم هذا .. ربما من أجل هذا عادوا ..

لقد اكتسب المكان أهمية خاصة .. صار مشيرًا إلى درجة يصعب أن تقاومها .. وهو ذات السبب الذى يدفعنا دفعًا إلى إلقاء نظرة على وجه جثة .. هذه النظرة لا نريدها .. ربما

تثير اشمئزازنا أو تطاردنا للأبد .. لكننا عاجزون عن منع نفسنا من ذلك ..

(هارلسون) هو الفتى القوى الذى لا يخاف شيئًا .. يصحب فتاته إلى ذات الموضع فى الوقت الذى يصل فيه أول القادمين .. لذات السبب يحب الأمريكيون سينما السيارات Drive in .. تلك الدور لا تعرض إلا أفلام الوحوش من الدرجة العاشرة ، وهذا يتيح للفتى أن يصطحب فتاته ويظهر لها كم هو قوى بارع .. طبعًا هى غير خائفة فعلاً بل تدعى ذلك ، وهو لا يواجه خطرًا حقيقيًا لكنه يتظاهر بذلك .. إلا أن سينما السيارات لا وجود لها فى بلدة منسية كهذه ..

هو يشعر الآن بقلق حقيقى .. ربما هو البرد .. ربما هو ذلك الإدراك لأن ما يحدث أكبر من دعابة .. إنه شىء شيطانى غامض يجتاح البلدة .. لا يعرف كنهه لكنه قوى جدًا ..

قال لها :

« « لنتعد .. »

قلت في رفق :

ـ « بالعكس .. أرى أن أروع ما في الموضوع يحدث الآن .. »

لم يكن هناك شيء رائع .. ربما يحدث المشهد الرهيب بعد قليل لكنه فجأة يشعر بأنه واهن جداً متعب جداً .. لم يعترف بأنه خائف إنما أقنع نفسه أن أباه سيحطم أنفه لو تأخر أكثر من هذا .. وكان أبوه من هذا الطراز فعلاً ..

ـ « الآن نرحل .. »

ـ « بل هي البداية .. لن ننتظر الفيلم ساعتين ثم نغادر دار السينما عندما يبدأ .. »

صمت .. ولمس بيدها تحت سر يده .. ثم دنت منه أكثر .. شعرها يلامس وجهه .. عطرها المشوم .. يا لهذا الجو ! إنهم يطلقون عليه الصيف الهندي هنا .. عندما تصير الأشياء أجمل قرب نهايتها ..

أغمض عينيه .. إنها الأنوثة الخالدة تظلله من شمس الواقع الحارقة .. ربما ليس من العار أن تلتمس الأمن لدى فتاة ، ففي البداية كانت تلتمس الأمن من امرأة .. وكانت هي

كل شيء لك .. تمنحك الأمن والغذاء والدفء وتبدل ملابسك المتسخة ..

وهنا حدث شيء غريب ..

أدرك أن (ساندرا) تشبهه على الأرض بقوة كأنها أحد المصارعين ..

وأدرك في تلك اللحظة الفاصلة بين النعاس واليقظة .. بين الحياة والموت .. بين الظلمة والفهم التام المرعب ..

أدرك أنها تغرس أسنانها في حنجرته ..

وتقضم ..

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

-5-

جاء الاستدعاء الثانى لـ (شوارتز) بينما كان عائدًا مع (هارى شيلدون) للمونتيل بعد جولة صباحية ..

كانت محطة البنزين تبدو مريبة لأن سيارة شرطة كانت تقف هناك ، وجوار السيارة كان يقف نائب مأمور من الطراز المألوف فى الأفلام الأمريكية .. يبدو أنهم يصنعونهم بالجملة هناك .. نائب يضع نظارة سوداء تلعب دور المرآة .. محدود الذكاء ومتراخ ..

كان بترتر مع الحسناء (بتريشيا) التى غادرت المتجر ووقفت معه .. وعندما رأى (شوارتز) واقفًا تناداه ، وأشار بتراخ إلى اتجاه ما :

ـ « يريدونك .. »

ـ « من الذين يريدوننى ؟ »

بصق النائب الذى كان يلوكه ، وقال :

ـ « المأمور طبعًا .. من سواه ؟! »

نظر (شوارتز) إلى (هارى) مستغيثًا فهم هذا الأخير بأن يرافقه إلى السيارة ، لكن النائب قال ساخرًا :

ـ « هذه ليست نزهة فى الخلاء لو كنت تفهم ما أعنيه .. لا يمكنك أن تدعو أصدقاءك .. »

أدرك (هارى) أن الفتى معه حق ، دعك من أن بداية علاقته بالمأمور لا توحى بخير ، ولن يتحمس هذا لقدومه لو يرقص عاريًا لذا أعلن أنه يفضل البقاء ..

كان باب السيارة مفتوحًا فالفى (شوارتز) جسده فيه وتساءل :

ـ « هل أحضر أدواتى معى ؟ »

قال الفتى وهو يركب بدوره خلف عجلة القيادة :

ـ « لم يحدد شيئًا .. هات كل شىء .. »

لكن (شوارتز) كان يعرف أن استدعاءه على الأرجح بسبب جريمة جديدة .. جريمة من الطراز الذى تمتلئ فيه الجثث بالديدان بلا تفسير واضح .. وقدر أنه لا داعى لإحضار حقيبته .. سوف تصلح أية زجاجة نظيفة مؤقتًا ..

www.liilas.com/vb3

وتنطلق السيارة عبر شوارع البلدة التى بدأت تعج بالعمال ..

عندما رأى المشهد من بعيد أدرك أنه محق أكثر من اللازم .. هناك ذلك الزحام من المفسولين الذى استطاع المأمور ببراعة أن يبقيه بعيداً فلا يرى أى شىء .. هناك المأمور يقف وقد بدا عليه الفخر كالعادة باعتباره أنجز عملا رائعًا ..

هناك الجثة الراقدة على الأرض .. جثة شاب على الأرجح .. مرتديًا جينز وحذاء رياضى ..

من هذا المكان لا يستطيع تبين أية تفاصيل دقيقة .. ربما باستثناء أنه لا يوجد للجثة رأس ولا صدر ..

* * *

وكان (هارى) يقف فى الممر يرمق البلدة من النافذة المطلة على محطة البنزين .. من هنا يرى الطريق العام والصحراء من بعيد .. الصبار فى كل مكان يضفى على المشهد طابعًا فريدًا .. والجبال فى الأفق .. ربما هى تغرس جذورها فى الحدود المكسيكية .. من هنا يأتى المتسللون

ومن هنا يفر المجرمون .. الوحشة هى طابع المشهد .. خاصة مع الهواء الساخن الذى يجعل الموجودات تتموج ..

بلدة كئيبة فعلاً . وقد بلغت روحه الحلقوم ..

(بانج بانج) ..

غريب صوت الطبول هذا ..

لو شئنا الدقة لقلنا إنه ليس صوت طبول .. الطبول تقول : (بوم بوم !) .. أما هذه فهى (بانج بانج) .. أقرب إلى صوت معدنى كالذى يمكنك أن تحدثه بالدق على علبة معدنية ..

لكن من يهتم بهذه الأمور فى بلدة مصدر رزقها هو المناجم ؟!

لم يكن يعرف شيئًا عن أصل المناجم .. أو هو يعرف قشرة عن الموضوع .. لا بد أن فى الموضوع خوذات وعربات تجذبها الحمال وديناميت و ...

وطرقات على علب معدنية ..

سمع صوتًا من خلفه فالتفت ..

www.liilas.com/vb3

رأى باب حجرته مفتوحًا والساقية الحسناء (باتريشيا) التى تعمل كذلك بائعة وخادمة غرف تخرج حاملة المكنسة ودلوًا .. إنه موعد التنظيف ويبدو أنها اختلست بعض الوقت لتتصيد وتنهى عملها .. وكان يعرف أن ما قامت به فى الغرفة هو الثانى : شدت ملاءة الفراش من جديد ، ثم كومت الأكرية تحت طرف البساط .. هذا هو كل شىء ..

لكنه لم ينكر أنها بارعة الجمال .. تبدو مهيبة فى الخارج وهى تقف بقامتها الفارعة وتغلق الباب .

رأته واقفًا عند نهاية الممر فقالت فى مرح :

ـ « هاى »

ثم عدلت وجهها لبرودة المعتاد ..

قال لنفسه إنها من الطراز قليل الحس .. وربما تتمتع بسايكوباثية Psychopath كذلك .. يمكنها أن تقتل طفلاً دون أن تهتز .. ومن الغريب كما قلنا أن هذا يعطيها فتنة خاصة .. سحرًا لا يمكن فهم مصدره ..

وهنا تذكر شيئًا عن (هارى) .. إنه من النوع الذى ينجذب للجميلات بسرعة ، وإنه لا يعتبر هذا خيانة لزوجته .. ما دام لم يقع فى الحب فهو لا يعتبرها خيانة .

قال لها وهو يعقد ذراعيه على صدره لأنه لا يعرف أين يضعهما :

ـ « كلما رأيت فتاة جميلة مثلك تقوم بهذه الأعمال ... »

ولم يكمل عبارته كأنما يريد كتابة مأساة إغريقية تصف لوعته لهذا الحدث المفجع ..

نظرت له مفكرة للحظة ، ثم قالت :

ـ « هم م م »

وعادت تفتح باب الغرفة المجاورة الخاصة بـ (شوارتز) ..

عاد (هارى) يقول وهو يعرف أنه سيتلقى العديد من الصفعات المعنوية :

ـ « من هن مثلك ملكات فى (فلوريدا) .. »

نظرت له للحظة .. وفكرت .. ثم قالت :

ـ « حقًا ؟ »

www.liilas.com/vb3

وضحكت تلك الضحكة التى تعمل بطريقة (الكل أو لا شىء) .. فجأة هى تضىء وجهها كله وفجأة لا يعود لها أى وجود .. لا توجد منطقة وسطى .. كأنها توصل الكابس لتشغل الضحكة ثم تفصله وتعود لتجهمها ..

قال لها وهو يتقدم فى بساطة :

ـ « ما رأيك لو دعوتك إلى العشاء ؟ هل ثمة ارتباط معين ؟ »

فكرت قليلاً ثم قالت :

ـ « لا .. لكن ليس بوسعى أن أقبل ذلك هنا .. العجوز ان يرحب .. »

ـ « أتحدث عن مكان أكثر رقيًا .. لا أقصدك بهذا الكلام .. لكن .. أنت تعرفين ما أعنيه .. لا يجب أن يكون هذا المكان ممتازًا لمجرد أنه تحت إشرافك .. »

كانت تفهم ما يريد بلا جهد .. يريد أن يقول لها : « لنجد مكانا أنظف وأرقى من هذا الوكر القذر الذى تقومين بتنظيفه .. » لذا قالت بطريقتها الباردة :

ـ « عند (جاكسون) .. هناك عشاء جيد وموسيقا .. لكن لا تتشاجر مع الصبية المحليين .. »

وكانت هذه نقطة مهمة .. بالتأكيد هى تتلقى مئات العروض من شباب البلدة فإما إنها تقبلها جميعًا ، وإما إنها ترفض .. بالتالى لن يسر هؤلاء شىء أكثر من المشاجرة مع فتى المدينة الثرى الوسيم الذى ظفر بـ (بتى) .. ما دام ثريًا وسيمًا فهو على الأرجح جبان رقيع ..

كان هذا يسره .. كان يحب المشاجرات .. وهو موقن فيها يومًا .. اللحظة التى يهشم فيها عنق واحد من ذوى الرقاب الحمر Red neck هؤلاء .. من الممتع أن تقابل رجلاً يعتقد أنه قوى ومن الأمتع أن تثبت له العكس .. المشكلة الوحيدة هى أن المأمور لا يحبه ، وسوف يكون عليه صارمًا .. لن يسأل عن البادئ .. لا بد أنه (هارى) ..

على كل حال جاءت (باتريشيا) فى الوقت المناسب لتجعل الحياة أهنأ .. لن يكون المال ضمن مشاكله هنا إلى أن يصل ذلك الأحمق (رفعت إسماعيل) .. فتاة كهذه ستجعل حياته صراعًا دائمًا وتحديًا وقلقًا .. وهو المطلوب ...

www.liilas.com/vb3

لكنه ما زال لا يفهم سبب حماس (رفعت) لزيارة هذه البلدة .. لقد اعتاد أغرب الأمور من صاحبه لكن هذا يفوقها جميعًا .. هذه البلدة لم ولن تكون أبدًا مقصدًا للسياح .. هناك من يحبون الجبال لكن من قال إنك يمكن أن تستمتع بها هنا ؟! شوارع ضيقة كئيبة تحيط بالمنجم .. وحياة تبدأ بالمنجم وتنتهي به .. حفر .. تنقيب .. شحن .. تفريغ .. نقل .. ثم يعود الرجال مرهقين ليضربوا نساءهم وينامون كالقتلى ..

هناك حوادث غريبة ، تظنها بالتأكيد ثم تصل لعلم (رفعت) .. لعله من كثرة عرف هذا الأخير بما يكفي كي يفهم أنه لا يبحث عن المتاعب أبدًا .. إنه يفضل تجنبها لكنها تلاحقه بحماس غير طبيعي ، ولو سمع (رفعت) عن حوادث القتل هذه لفضل قضاء العطلة في موضع آخر ..

★ ★ ★

للمرة الثانية دق المقبض على الباب ..

ـ « أنا آت .. »

واتجه الأب (ميغيل) إلى الباب وهو يجفف يديه في منشفة فقد كان يغسل الأطباق ..

« هؤلاء الناس الوحيدون .. من أين يأتون ؟ ولماذا ينتمون ؟ »

فتح الباب فوجد أمامه (كلاريسا) .. تلك الزوجة الحسناء لمدرس البلدة (رتشاردسون) .. كانت سيدة لطيفة وكان يشعر براحة معها ..

ـ « معذرة على قدومي من غير موعد .. »

ـ « في كل الأوقات مناسبة يا بنيتي .. »

وأوسع لها الطريق لتتلف إلى الداخل ..

منذ اللحظة الأولى فهم أن هناك سرًا من الأسرار غير مفهوم . ثمة شيء ثقيل يجثم على أنفاسها ..

جلست في البهو على أريكة هناك ، ووقف أمامها مستمرًا في تجفيف كفيه :

ـ « هل ترغبين في بعض عصير الليمون ؟ لدي بعضه »

ـ « لو سمحت »

اتجه إلى الثلاجة فصب بعض الشراب الصافي البارد في كوب وعاد إليها .. راحت تشرب وهي تنظر له مستكشفة من فوق حافة الكوب العليا .. ثم قالت :

www.liilas.com

ـ « أرغب فى أن أعترف بشىء .. »

حك رأسه وابتسم :

ـ « لا أظن هذا يا بنيتى .. لكنى أؤمن أن على الناس أن يعترفوا بخطاياهم لبعضهم .. ربما كان الاعتراف يريحك أكثر »

راحت تفكر قليلاً باحثة عن كلمات مناسبة .. نهض ليجلب الستار على النافذة لأنه خمن أنها تفضل ألا يظهر وجهها وهى تتكلم ..

قال لها وهو يجلس بعيداً :

ـ « يمكنك أن تتكلمى .. أنا منصت .. »

قالت بصوت هادئ وهى تنظر قدر استطاعتها فى كوب الليمون الذى فرغ والكنسى بالبخار :

ـ « كنا .. لم أرتكب خطيئة معينة .. »

ـ « ليس يوسعك أن تزعمى ذلك .. ليس يوسعك حتى أن تتذكرى عدد الخطايا التى ارتكبتيها اليوم .. »

أربكتها منطقه ، فقالت :

ـ « لم أرتكب ما يمكن أن تضعه فى قائمة الخطايا الكبرى .. لكن أفكارى شريرة ولا شك فى هذا .. إننى لم أعد أعرف نفسى .. »

ـ « أنا منصت .. »

ـ « أحيانًا أشعر أن بداخلى يتصارع كف شيطان .. هناك جحيم موقد فى أعماقى .. وأفكارى أبعد ما تكون عن الخير .. غير أننى أسيطر على نفسى سيطرة كاملة .. هذه الحرب تدور بداخلى لكنى أبقى السطح هادئا ويرانى الناس ملاكًا .. »

قال فى روية :

ـ « الفيلسوف يطوف فى أحلامهم ما يفعله الأشرار فى صحوهم .. »

ـ « هذا لا يقنعنى .. أعتقد أن الشخص الخير يجب أن يكون نقيًا من الداخل والخارج .. لو جئت للمحل عندى وابتعت قطعة زيد ، ثم عدت لتدرك فوجدت أنها محشوة بالصابون من الداخل لعدت لى وتشاجرت معى .. لن يقنعك منطقى وقتها .. لن يقنعك أننى بعتك قطعة زيد من الخارج »

ـ « مقاييس البشر فى فهم الأشياء تختلف عن مقاييس الرب »

ـ « لكن الزيد هو الزيد .. يجب أن يكون أبيض من الداخل والخارج .. »

ـ « فلننس الزيد قليلاً ونتكلم عنك .. »

عادت تتكلم بصوت رتيب وهى تحاول ألا تنظر إليه :

ـ « فى البدء كان ذلك النداء الذى أسمعه ليلاً .. ثم ... »

★ ★ ★

هؤلاء الناس الوحيدون .. من أين يأتون ؟ ولأين يذهبون ؟ »

★ ★ ★

الآن كان (شوارتز) قد تملك نفسه نوعًا ..

فرغ من دس العينات فى كوب زجاجى أحضروه له ، ثم سده بغشاء مشمع ورباط مطاطى .. فعل هذا كله فى سيارة الإسعاف حتى لا يعرف الفضوليون .. كان المشهد مروعًا لا يصدق .. لقد رأى الكثير من الجثث لكن هذا المشهد يشعره بأنه فى ساحة حرب ..

قال للمأمور وهو يجفف عرقه :

ـ « لا تقل لى إن القتل وقع هنا .. »

ابتسم المأمور وضغط على اللفافة أكثر ، وقال :

ـ « لا .. لا يوجد ما يدل على ذلك .. هذه الجثة نقلت من حيث كانت .. ما رأيك فى الرائحة ؟ »

قال العالم :

ـ « بصرف النظر عن الرائحة الكريهة بحق ، فإن هذه البرقات تامة التضج .. لقد توفى هذا الفتى منذ فترة »

قال المأمور بخبث :

ـ « يدعى (هارلسون) .. إنه قتوة المراهقين هنا .. وأنا أؤكد لك إنه كان سليمًا كجرس أمس .. »

ـ « لا أفهم ! لكل مرة لا أفهم »

أضاف المأمور وهو يحك شعره الأشيب الطويل :

ـ « ثم هناك الرائحة .. هل حقًا تجدها رائحة ؟ »

هنا توقف (شوارتز) ..

الحق أن شيئًا كهذا كان يخامره من وقت لآخر .. إن الروائح الكريهة تتشابه لكنها ليست ذات الشىء .. كان

www.liilas.com/vb3

يشعر منذ البداية أن هذه الرائحة كريهة لكنها ليست بالضبط رائحة الجثث المتعفنة .. لو قال هذا لاتهم بالتحذلق والسفف .. مثل الهستيريين الذين يصرون على أن هناك أنواعًا من الظلام ..

أما وقد قالها المأمور الذى لا يمكن أبدًا قدر من الهستيريا فقد شعر بأنه تلقى الإذن ليشعر بهذا ..

قال (شوارتز) :

ـ « ماذا تحاول أن تقوله ؟ »

ـ « لا أقول أى شىء .. فقط أظن أننى عاجز عن عمل شىء .. إن لى سبعة عشر عامًا كمأمور لكنى لم أر شيئًا كهذا .. إن التمادى فى الخطأ خطأ أفدح .. لقد فقدنا عدة أشخاص وحتى اللحظة لم أتلق تقرير (فينكس) .. هناك أسباب وفاة واضحة أحيانًا مثل هذا القتى الذى تم قص ثلثه العلوى .. وعامل المناجم المكسيكى الذى امتص أحدهم الدم من عنقه »

هتف (شوارتز) فى هلع :

ـ « عم تتكلم ؟ أنت لا تخبرنى بكل شىء .. »

ـ « ليس من عملى أن أبلغ سمعكم بكل ما تلفظه .. أنت هنا للتحقيق فى الجثث المحشوة بالحشرات .. فيما عدا هذا لا شأن لك .. »

وفى عجالة حكى له تفاصيل ما حدث أو ما تبين لـه .. فيما بعد استطاعت تجميع القصة وإعادة تشكيلها كما يفعل رجال الحفريات ..

قال (شوارتز) :

ـ « نحن فى مأزق مخيف .. »

ـ « أنا أرى هذا .. لهذا اتصلت بـ (فينكس) طالبًا معطفين .. ربما أحتاج لهتش قذرك ذلك .. إن البلدة تلفت ملى ولا أستطيع حماية كل مراهق أحمق وكل ذى عنق أحمر .. »

ثم يصفق على الأرض جوار حذاء (شوارتز) ، وقال :

ـ « يكفى أن تعرف الصحافة بالأمر .. وسوف أفقد وظيفتى وكل شىء .. تبًا .. هذه البلدة ظلت هادئة لعدة قرون .. سبعة عشر عامًا لم يحدث فيها شىء .. أقطع شىء حدث أن أحدهم سرق الكشاف المعلق على مكتب البريد .. الآن تتهمر الصواعق على رأسى .. »

www.liilas.com/vb3

لم يكن (شوارتز) يصغى ..

كان عقله يعمل بلا انقطاع ..

برقات فى جثث لم يمض على وفاتها وقت كاف ..

برقات ناضجة ..

معنى هذا أن هذه البرقات وضعت فى هؤلاء قبل موتهم .. وضعت فيهم وهم أحياء ..

نحن نتحدث عن ظاهرة التدويد ..

★ ★ ★

الجزء الثانى

الطبيب

« كل شىء يتغير .. البلدة سوف تركل الصندوق قريبًا .. أشعر بهذا .. (لوسيفر) العجوز قد جاء يتقاضى حقوقه .. فالأمن إن لم يحدث هذا .. »

www.liilas.com/vb3

-1-

أنا مطلوب حيًا أو ميتًا ..

لهذا يجب أن أرحل يا صغيرتى ..

ترى من سيتلو الصلاة على روحى ؟

من سيبكى على ..

حينما أتخلى من المشنقة ؟

★ ★ ★

كان هذا هو الموقف عندما وصلت إلى (فانوير) ..

منظرى غريب بالفعل وأنا أنزل من الحافلة قرب محطة القطارين حاملا حقيبتى .. من بعيد يتوهج الأفق فى حمرة الشمس والهواء يترقص بتلك الطريقة التى تشعرك بالظمأ .. هناك موسيقا ريفية أمريكية تنبعث من مكان ما ، فتشعر أن عجوزًا ملتحيًا يجلس على سياج مزرعة يرقب الخيول ويعزف ..

يبدو المشهد كأنها لقطة من أحد أفلام رعاة البقر ، فلا يفاجئنى إلا أن أرى رجلاً ضخمًا ينظر لى فى آخر الشارع

ويتحسس مسدسه قائلا : « اسحب ؟ » .. لكن لو كان هذا فيلم رعاة بقر فأنسب دور لى هو دور حانوتى البلدة أو حصان عجوز مريض ..

(هارى) بانتظارى .. ذلك الصديق العزيز الذى ذاق معى قدرًا لا بأس به من (البهدلة) .. بشكل ما أشعر أنه (عزت) آخر .. (عزت) أقوى وأصح بدنًا .. لكن المبدأ واحد ..

بعد الكثير من الترحاب على الطريقة الأمريكية وال (واو) وال (بيه) ، قال لى كالعادة :

ـ ما زلت تزداد شيخوخة وقبحًا ..

وهى التحية التى يلقانى بها كل شخص على وجه الأرض .. لا أعرف متى كنت وسيمًا شابًا أزرق العينين .. لكن لا بد أن هذا حدث ما داموا يمتلكون فكرة عن الأفضل الذى كنته ..

ثمة علامتان لفتتا انتباهى منذ وطئت قدمى أرض هذه البلدة :

أولاً .. كل الناس هنا أصحاء أقوياء يوشك الدم على الانفجار من خدودهم .. هذه علامة دائمة أراها فى الغرب الأمريكى سواء فى زيارتى أو فى كل فيلم أراه ..

www.liilas.com/vb3

ثانيًا : رائحة البلدة كريهة فعلاً .. ليست رائحة الموت أو التحلل العضوى .. لكنها رائحة لعينة ما .. هل هذه رائحة مناجم النحاس ؟؟؟

ومشينا إلى الموتيل الذى يقع فوق محطة البنزين ، حيث كان قد حجز لى غرفة ..

فى المدخل قابلت ذلك العالم الأمريكى مهيب المنظر (شوارتز) والذى لابد أنت عرفته الآن بما يكفى .. علم الحشرات الجنائى علم مهم لكنى لا أعرف عنه شيئًا وقد بدا لى غريبًا أن يوجد هذا التخصص فى هذه البلدة بالذات .. لن أندهش إذن لو اتضح أن هناك خبيرًا فى وقود الصواريخ أو نظرية النسبية !!

راح يرمقنى متفحصًا وهو يشد على يدى .. نظرة أعرفها جيدًا .. كأنه يقول : كل هذه الضوضاء من أجل هذا ؟ ثم قال :

ـ « حدثنى (هارى) عنك كثيرًا .. يقول إنك شخص جدير بالمعرفة .. »

ـ « على سبيل الفضول العلمى طبعًا .. لن أنسى أنك مختص بالحشرات الطبية .. »

لم يضحك .. أعتقد أن الدعابة لا تنتقل بسهولة فى هذا المكان ..

قال لى (هارى) :

ـ « أنت اخترت أسوأ وقت ممكن للقدوم هنا .. أو ربما الوقت سيئ لأنك جئت .. »

كنت أتوقع هذا ..

(هل أنا ذاهب إلى مورينسى لأنك تريدين هذا ، أم إنك تريدينى لأننى ذاهب إلى مورينسى ؟) ..

إنها تلك الأمور المتداخلة حيث لا تعرف إن كنت سببًا أم نتيجة .. هناك قصة طريفة أتذكرها الآن عن الشاعر (أحمد شوقى) .. يوم ولادته جاء شيخ معروف إلى أبيه وقال له مهمومًا : « إنك سيكتب بيت شعر سيئًا يمتدح الخمر قائلاً :

رمضان ولى هاتها يا ساقى ..

مشتاقة تسعى إلى مشتاق »

كبر (أحمد شوقى) وذات يوم حكى له الكبار هذه القصة ضاحكين .. من الغريب أن بيت الشعر راق له وقرر أن يستكمل القصيدة ! هنا نجد سؤالاً محيرًا : هل تنبأ الشيخ فعلاً ببيت الشعر الذى سيقوله (شوقى) أم

إنه فى الحقيقة هو الذى أنهم (شوقى) بهذه القصيدة ؟ الخلاصة أن القصيدة قيلت بالفعل وقائلها هو (شوقى) !

قال (هارى) وهو ينادى الساقية الحسناء التى عرفت أن اسمها (باتريشيا) :

ـ « (باتى) .. أريد بعض الليمون لصديقى هذا .. أما أنا و د. (شوارتز) فسوف نتناول مشروبنا المعتاد .. »

ضحكت الفتاة ضحكة غريبة من الطراز الذى يظهر فجأة لم يخفى . مما يدلك على أنها لا تعبأ بالتطفل على الإطلاق لكنها تفتعله افتعالا . على الأقل قدرت أنها تمثل لـ (هارى) نوعًا ..

فلما انصرفت قلت له همسًا :

ـ « يبدو أنك لم تضيع وقتك .. (هارى) الوسيم يؤدى واجبه المنزلى »

قال فى ثقة :

ـ « أنت تعرف المال فى هذه البقاع .. »

عدت أسأله بعد انصراف الفتاة :

ـ « الآن أريد أن أعرف .. أى نوع من المشاكل يحدث هنا ؟ »

هكذا حكى لى باختصار شديد ما حدث وما عرفتموه أنتم .. اسمحوا لى بدقيقة للإصغاء .. فى كل مرة أتأخر متأخرا لأجد أن الجميع يعرف ما أجهله أنا ..

ثم إن (شوارتز) تدخل بدوره ليحكى وجهة نظره وما قاله له المأمور ..

هكذا بدا لى المشهد كليًا يمنع بعلامات استفهام ..

أولا : هناك جرائم قتل .. بعضها لم يعرف سببه بعد وبعضها واضح كالشمس . يجب أن أكون حمارًا كى أتساءل عن سبب موت ذلك الفتى الذى اختفى رأسه وأعلى صدره . على الأقل فى جريمة واحدة هناك ما يوحى بعض الدماء بشدة ..

ثانيًا : فى ثلاث حالات على الأقل هناك ظهور مريب للمرتفات فى الجثة التى لم تجد الوقت الكافى لتتعفن .. (شوارتز) يتحدث عن ظاهرة التكويد ..

www.liilas.com/vb3

ثالثًا : ثمة كلام عام مبهم عن جماعة غامضة هنا تمارس ما يوشك على أن يكون طقوسًا دينية ، لكن أحدا لا يعرف من هم ولا أين يجتمعون .. هذه ثرثرة تتنقل بين المراهقين .. يدعم هذا كلام القس (ميلروى) عن جثث قطط يبدو أنها قد سلخت ..

قلت بعدما انتهى هذا العرض الشائق :

ـ « الأمر واضح ولا يحتاج إلى حاسب آلى .. إن هذه الجماعات الشيطانية توجد من حين لآخر .. لقد قال هنا قال طقسى ritualistic .. ربما يتضمن مص الدم كذلك .. سوف يمارسون عليهم بعض الوقت ، ثم تلقى عليهم الشرطة .. »

ابتسم (شوارتز) ، وقال فى هدوء :

ـ « لا يوجد تفسير آخر .. لكن ماذا عن البرقات ؟ »

حقًا .. هناك برقات .. هذا يثير الغيظ .. كلما تمكنت من تركيب أجزاء اللغز وقف جزء معين فى الطريق وفى حلقك .. وهو موقف معتاد فى الطب على كل حال .. الصورة تتفق مع مرض التيفود لكن ماذا عن الزيادة المرعبة فى كريات الدم البيض ؟ ربما لو حدث ثقب فى الأمعاء يكون التفسير ...

ـ « التكويد .. »

قالها (شوارتز) فى ثقة ..

التكويد Myasis هو من المشاهد الدرامية المخيفة بالنسبة لدورات حياة الذباب .. أنت تعرف تلك الذبابة الزرقاء اللامعة وتلك التى ترتسم رقعة الشطرنج على بطنها .. هذان نوعان من الذباب العصابى الذى يدخل حجرتك ويصطدم بالزجاج والجدران كأنك بصدد وطواط لا ذبابة .. حسن .. إن لها كرامة مثل زميلاتها ومن حقها أن تحظى بأسماء لاتينية معقدة ، لكنى لن أذكرها هنا .. لهذه الأنواع من الذباب عادة غريبة هى أن تبيض على أنسجة حية .. تخرج البرقات الشبيهة بالديدان من البيض وتزحف تحت الجلد أو تتخذ موضعًا مريحًا فى الجروح للتنمو .. بعضها يبيض على فتحات الجسم .. هناك حالات تكويد تجد فيها البرقات فى الجهاز الهضمى أو المثانة ، لأنها ببساطة وضعت بيضها على فتحة البول .. إنها فكرة مرعبة تحمل كل مخاوف التحلل العضوى التى هى أساس الرعب .. لو كان الرعب هو خوفنا من التفكك العضوى وما قد يحل بأجسادنا ، فإن هذه الفكرة جديرة بجائزة الأوسكار .. لكنها حقيقة علمية كأية حقيقة أخرى .

www.liilas.com

ما يريد (شوارتز) قوله هو : لقد وضع الذهاب بوضعه على أجساد أحياء ثم ماتوا فحسبناه جاء بعد موتهم ..

ـ « والسبب ؟ »

ـ « لا أعرف »

وساد صمت رهيب .. كل واحد يفكر فى مغزى هذا .. ولماذا لم يتكرر فى كل حالة ؟ بل لماذا يتكرر ؟ إن التكويد يحدث فى ظروف خاصة جدًا ومحدودة جدًا ..

قال (هنرى) بعدما فرغ من إنهاء شرابه :

ـ « ما نواه هو أن علينا أن نرحل .. لو كان هناك عمل ما ينتظرك يا (رفعت) فابتلعه منه بسرعة .. »

قال (شوارتز) :

ـ « أنا لا أملك هذا الترف .. إننى مكلف بمهمة رسمية .. على كل حال أعتقد أن البلدة ستتمتع بالكهرباء قريبًا .. المأمور مصر على الاستعانة بهم فى (فينكس) .. »

ـ « ما هذا ؟ رجل الأمن العنيد يتنازل ويقبل العون أخيرًا ؟ »

ـ « هذا واضح .. إن الموضوع أكبر منه .. »

ـ « عندما تتحدث عن القط ... »

ونظرت لأرى القط المذكور ، فرأيت المأمور يدخل الحانة أو الكافتيريا لا أعرف بالضبط ..

من اللحظة الأولى عرفت أنه مغرور مزعج .. ليس غبيًا وبالتأكيد له نظرة ثاقبة للأمور لكن التفاهم معه مستحيل ..

دخل المكان وهو يجفف عرقه .. كرشه العملاق يهتز أمامه فلو كان لى كرش كهذا لحرصت على أن أبقى فيه خارج الصراويل لا داخله .. لكنه كما يبدو يفكر به .. من خلفه نائبه أو ما يطلقون عليه Deputy .. شاب متهتر مائع نوعًا .. هذا نمط معروف هو الآخر .. علاقته بعمل الشرطة هو أنه يجعله وسيمًا أنيقًا يروق للفتيات ، لكنه أول من يفر فى لحظة الخطر ..

ـ « تريد شرابًا باردًا يا (بانى) .. »

ثم مشى نحو منضدتنا فى تؤدة .. وقف جوارها ولمس قبعته على سبيل التحية التى هى أقرب للسباب .. وقال وهو يرمقنى من فوق لتحت :

www.liilas.com/vb3

ـ « هذا هو المصرى المولع بالسياحة ؟ »

قال (هارى) فى برود :

ـ « البروفسور (إسماعيل) طبيب مصرى مرموق . »

لم أكن مرموقًا لكنى ابتلعتها لأنى صرت أعرف خلفيات الرجلين ..

قال المأمور وهو يصيح من وضع قبعته :

ـ « قل لصاحبك لو كان لا يفهم الإنجليزية إننا فى أوقات خطرة .. على الرجل أن يقوم بما يجب على الرجل أن يقوم به ! »

ضحكت فى سرى إذ سمعت هذه الجملة بالذات ..

ثم إنه اتجه إلى منضدة مجاورة فجلس .. ولحق به مساعده ..

قال لى (هارى) :

ـ « تجاهله .. إنه يتظاهر بشدة البأس لكنه أول من سيبلل سراويله لو قابل خطرًا حقيقيًا .. »

ابتسم (شوارتز) فى إنهاك ، وقال :

ـ « لو قابل خطرًا حقيقيًا ؟ إنك متفائل يا صاحبى ! لا أعرف لماذا أعتقد أننا تجاوزنا هذه النقطة من زمن !! »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

-2-

فيما بعد عرفت هذا الجزء ..

لقد اتجه (هارى) إلى ذلك المكان الذى التقى عليه مع السافية الحسناء (باتريشيا) .. (عند جالكسون) .. هكذا يطلقون عليه .. مكان رائق وموسيقا كما قلت ..

كنت أنا قد نمت كعوميداء (حتف حرس) لأننى كنت مرهقًا من عناء اليوم ، وقد أراحنى هذا من تقديم الأعذار كى يتخلص منى ..

تخلل المكان بينما صوت مطرب ريفى ينبعث من مكان ما :

« أنا مطلوب حيًا أو ميتًا ..

لهذا يجب أن أرحل يا صغيرتى ..

ترى من سيتلو الصلاة على روحى ؟

من سيبكى على ..

حينما أتخلى من المشنقة ؟ »

الصوت الرنان الحارق أشعل ذكرياته .. صحيح أن هناك مشاكل فى الموضوع لكن يجب أن تكون أمريكيًا لتفهم سحر الهائم على وجهه أو الـ drifter .. ذلك الغريب الذى يقضى كل يوم فى بلد ومع فتاة أخرى .. ولا أحد يعرف من هو حقًا .. ربما كان هاربًا من العدالة وهذا يضفى عليه المزيد من السحر .. حتى لو كان سفاحًا فهو يصير بطلا بالنسبة للأمريكيين .. هذه نقاط فى تكوينهم يصعب أن تفهمها .. ثم تأتى ذروة الرومانسية فى اللحظة التى يتلاشى فيها مشنوقًا ..

المكان مظلم كالقبر .. رجال يجلسون إلى البار يشربون ويمزحون بالجينز والقبعات .. بينما يشق هو طريقه وسطهم .. يتخذ موضعًا هناك ..

عند مدخل القاعة يراها .. قادمة فى الإضاءة الخافتة التى لا تترك منها إلا السلويت .. شعرها يهتز مع خطواتها .. فارعة ممشوقة كأنها جواد برى ..

تنظر منه فيحييها .. تهز رأسها وتبتسم تلك الابتسامة الخاطفة ..

ـ « أنت تخلصت من (سكروج) العجوز »

www.liilas.com/vb3

ـ « ليس هذا صعبًا .. »

تناولها وتجلس فيطلب لها شرابًا .. الموسيقا تتعالى ثم تظهر فتاة طويلة الشعر مجعدته تلبس الجينز ، وتمسك بجيتار عملاق .. وعلى دقات مرحة مع التصفيق تغنى :

« (جونى) .. لمسك بتلوس واعزف كمانك جيدًا ..

إن الجحيم قد تأجج فى (جورجيا) والشيطان يوزع أوراق اللعب ..

فلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من الذهب ..

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك ! .. »

وينهض الشباب ليرقصوا على النغمات .. فلام فى ظلام تلك من آن لآخر ترى وميض سيجارة أو لسانا تلمع .. الفتاة تضرب الأرض بكعب واحد مع الإيقاع ، وتقدم أحدهم يضع لها برميلاً لتصعد إليه بينما هى تواصل عزف

الكمان .. ومن مكان ما برز راعى بقر معاصر يصاحب الإيقاع بدقات بالملعقة والشوكة ..

سأل (هارى) فتاته وهو يرفع صوته كى يجتاز صخب الموسيقا :

ـ « هل ولدت هنا ؟ »

ـ « وأموت هنا .. إن أمى تقيم قرب المنجم .. لكنى أبيت أحيانًا فى الموتيل .. »

ـ « الصبى يشرب اللبن مع أمه ! »

جاءت هذه من المنضدة المجاورة ، وقد قدر (هارى) أن قائل هذه العبارة لا يتكلم عن صبى يشرب اللبن مع أمه على الأرجح .. إنه هناك من يسخر منه .. لكنه تظاهر بأنه لم يسمع ..

سألها :

ـ « هل أروق لك ؟ »

نظرت له فى برود وقسوة ، وقالت :

ـ « رأيت من هم أفضل .. »

www.liilas.com/vb3

ثم أردفت مفكرة :

ـ « أنت مسن جداً بالنسبة لى .. »

تلقى الضربة التى يتلقاها للمرة الأولى فى حياته .. لقد اتهموه بالخرق والاندفاع والغباء لكن لم يتهمه أحد بالشيخوخة قط .. ابتلع المهانة ، وقال :

ـ « إذن لماذا تخرجين معى ؟ »

قالت فى برود وقسوة :

ـ « ربما لأن ظروفك المادية أفضل .. من الممكن أن تعطى فتاة مثلى نزهة مشبعة .. إنك لست من الشباب الذين يدعوننى إلى شطيرة من الهامبرجر ثم يتوقعون أن أهبهم جبًا .. معهم أجد الحب ومعك أجد المال ! »

كانت قاطعة كالسيف حادة .. لكنه كما قلنا كان مولعًا بطريقتها هذه .. البرود الجذاب .. القسوة الساحرة ..

أشعل لفافة تبغ عندما سمع من يقول فى الظلام :

ـ « لا .. لا .. ليس أمام ماما أيها الصبى الجميل ؟ »

نظر لها فى حدة ثم نظر إلى الوراء فسمعها تقول :

ـ « لا تندفع .. تذكر ما قلته لك .. أنت لم تسمع شيئًا »

لكن هل ينطبق هذا الكلام على (هارى) كتلة العصبية والاندفاع التى تم صبها فى صورة رجل الترجمة الدقيقة لتعبير (طبيعة نارية) ؟! إنه يحب المشاجرات ولن يترك فرصة كهذه تمر .. لقد نهض كالمجنون ليراهم .. مجموعة من الشباب ذوى الأعناق الحمر يجلسون على البار وهم ينظرون له بتحد ووقاحة .. كانوا أربعة فقط .. هذا يجعلهم فى خطر حقيقى ..

قال وهو يشير إلى صدره فى تحد :

ـ « هل تكلمنى أنا ؟ »

قال أضخمهم جثة ـ الذى لبس قميصًا (كاروهات) ـ وهو يبصق كناية عن الاستهتار :

ـ « لنفترض ذلك .. فماذا تنوى عمله ؟ ما هى حركتك ؟ »

ـ « هل تكلمنى أنا ؟ »

كما كان (دى نيرو) يفعل فى فيلم (سائق التاكسى) .. ذلك الأداء العصبى التصاعدى المميز .. وسرعان ما وثب

www.liilas.com/vb3

فى الهواء ليدفن رأسه فى صدر الفتى .. ثم اعتصر عنقه بين يديه ..

صرخ البعض وساد هرج ومرج .. بينما سقط ذو الخلق الأحمر من على مقعده وهو يسب ويلعن .. فى هذه اللحظة قفز عليه الفتية الآخرون بالركل واللكمات ..

معركة قصيرة هى .. كنت أتمنى أن أقول إن (هارى) قهرهم لكن الكثرة تغلب الشجاعة ، دعك من أن تتمتع الكثرة بهذا الحجم الضخم والعضلات المتفجرة .. كنت متيحة أو أوشكت أن تكون عادلة . خاصة بعدما تهشمت بعض الزجاجات لتتحول إلى خناجر ..

هنا فقط دوى الصوت الحازم :

ـ « توقفوا !! »

تصلب الجميع لحظة كرش المأمور المميز وهو يشق طريقه بين الزحام .. لم يتجه إلا نحو الرجل الراقد على الأرض والدم يقزف من حاجبه .. (هارى) .. أمسك به من بقة قميصه وأنهضه ..

ـ « أنت يا رجل (فلوريدا) ! قلت لك إننى لا أريد مشاكل فى مدينتى .. إن لى سبعة عشر عامًا كمأمور فى هذه البلدة وأعرف أمثالك جيدًا .. »

قال (هارى) وهو يحاول النهوض والدم يغمر وجهه :

ـ « تكلم عن المشاكل وأعوام خبرتك مع هذه الثيران .. إنهم تحرشوا بى .. هذه البلدة هى المكان الذى جمعوا فيه كل بلطجية البلاد »

ـ « الحرس ! »

قالها أحدهم وهو يوجه ركلة لصدر (هارى) مما جعله يصرخ ألمًا .. لكن المأمور لم يوجه له أى لوم .. فقط ظل يكلم (هارى) كأنما هذا الموقف لم يحدث :

ـ « سوف تأتى معى بكل تهذيب .. لا أريد مشاكل أخرى .. »

إنها فرصته إذن .. هو يتوق لهذا منذ التقيا أول مرة .. نهض (هارى) مترنحًا .. ونظر نظرة ينبعث منها الشرر إلى الفتية .. كان الدم يسيل من أنف أحدهم لكن هذا كل

www.liilas.com/vb3

شيء .. وأتى أحدهم بحركة بذيئة بيده علمًا أن (هارى) لن يستطيع الرد ..

قالت (بتريشيا) بطريقتها العملية وهى تغلق حقيبتها وتدسها تحت إبطها :

ـ « فعلاً أنا آسفة .. لكنى مضطرة للانصراف الآن فقد تأخرت ! »

قال أحد الفتية باسمًا :

ـ « لا داعى لهذا سهرتك .. نحن فى الخدمة يا (بتى) ! »

ثم ينتظر (هارى) ليعرف ما حدث لأن المأمور جذبه جذبًا إلى الخارج .. ولا يعرف كيف ولا متى وجد نفسه داخل السيارة التى تدور كشافاتها وتعوى سرينتها .. يشق الطريق وسط الواقفين خارج المنهى .. بدا المشهد كأنما تم اعتقال (هتلر) نفسه ..

قال له المأمور وهو يسب المتكلمين حول السيارة :

ـ « ليلة فى الحجز بعدها تشعر بتحسن .. »

قال (هارى) فى لا مبالاة وهو ينظر خارج زجاج النافذة ويضغط بمنديله على حاجبه :

ـ « ليلة فى الحجز لأن هؤلاء الأوغاد صايقونى ؟ ألا ترى أن العدالة لها طرق غريبة فى هذه البلدة ؟! »

ـ « اخرس يا رجل (فالوريدا) .. لن أنتظر قدوم أشقائك ليضمونى مهنئين .. ليس بعد سبعة عشر عامًا »

هكذا قرر (هارى) أن يخرس .. وقدر أن ليلة فى الحجز سوف تهدئه فعلاً ..

سوف يدفعون الثمن .. (هارى شيلدون) لا يترك نفسه مدينًا لأحد .. وسوف يكتبون إيصالات التسلم بالدم ..

★ ★ ★

ترى من سيبتو الصلاة على روحى ؟!

من سيبكى على ..

حينما أكتفى من المشنقة ؟!

★ ★ ★

الحر قاتل ..

www.liilas.com/vb3

لو قال لى أحد إننى سأختنق لهذه الدرجة فى الولايات المتحدة لاتهمته بالجنون .. إن العقل الشرقى يتصور أن كل ما هو خارج إفريقيا وشبه الجزيرة العربية مناطق باردة إلى درجة الموت تجمدًا ..

خرجت من غرفتى ووقفت فى النافذة التى فى الممر أحاول أن أجد بعض الهواء .. لا جدوى .. دعك من أن هذه الرائحة الكريهة لا تخنقنى .. أنت تعتادها فتتمساها لكن هذه الرائحة الكريهة لا تخنقنى .. أنت تعتادها فتتمساها لكن بضع دقائق فى أى مكان نقى الهواء تجعلك لا تطيق شمها من جديد ..

وهؤلاء المجانين يطلقون على هذا الجو (الصيف الهندى) باعتباره معتدلاً .. أى اعتدال هذا !!!

نظرت لباب غرفة (هارى) فقدرت أنه نائم على الأرجح .. إنها الثانية صباحًا .. على أن أسلى نفسى بنفسى ..

ارتديت أخف قميص عندى .. أى إنه ذلك القميص الرمادى الصوفى طويل الكمين .. وفتحت زرًا واحدًا تحت عنقى .. سوف تسمحون لى بهذا التحرر الكمالى طبعًا فلن تقبلوا أن أظل بالبذلة وربطة العنق حتى أموت مسلوقًا ..

هبطت فى الدرج شاعرًا بالخجل من منظرى المضحك .. وفى ضوء المساء كانت محطة البنزين غارقة .. ظلام دامس ما عدا بعض أضواء إعلانات الكولا وسهمًا يشير إلى مضخة البنزين ..

من بعيد أرى هذه البقاع الوهاجة .. إنها الحشرات حاملة المشاعل بلا ريب .. إنها خنافس لكن منظرها يشبه الديدان الطائرة .. هذا الخطأ وقع فيه (دريك) القبطان وتقرصن الشهير ، عندما رآها فى جزر الهند الغربية فكتب عن (الديدان المتوهجة الطائرة فى الجو) ..

مشيت وسط المحطة بمعالمها المستلقة كأنها ديناصورات نائمة .. المتجر الصغير مغلق ومظلم لكن هناك آلة مياه غازية بالخارج .. هكذا دسست فيها عملة معدنية منبهرًا بهذه التكنولوجيا التى كانت بعيدة جدًا عنا فى السبعينيات .. بعد قليل كنت أعتصر فى يدى علبة باردة مثلجة وألصق بها خدى فى حنان ..

من بعيد أسمع صوت نقاط الحقل .. هل هناك حقول هنا ؟ المهم أنها حشرة ليلية ما لا تكف عن الصياح ..

- « تقول (كاتى فعلتها) يا صبى ! »

www.liilas.com/vb3

أجفلت ونظرت إلى الوراء فوجدت ذلك العجوز الذى يطلقون عليه (سكروج) .. نموذج البخل الذى يقترب مما تسمعه فى الأساطير حتى استحق هذا الاسم ..

لم أكن قد قابلته لكنى عرفت أنه هو ..

رجل عجوز مكتنز بشع الخلقة .. ربما (مقرف) كذلك .. يبدو أنه يعانى حالة بهاق متقدمة .. يبدو كذلك أنه يستشفى من إصابة فادحة جعلته لا يحرك نصفه الأيسر تقريبًا .. كان جالسًا على مقعد وقد أراح قدميه الموضوعتين فى خفين على قريبٍ مرتفع أمامه .. وكان يمسك بعلبة كولا هو الآخر وينظر لى فى ثبات من تحت حاجبين كثيفين ..

وجد أنه مطالب بتفسير فأردف بصوت أزيز ثقيل :

ـ « هذا الحقير يحدث صوتًا بأنفه .. والصوت يشبه عبارة Cathy did (كاتى فعلتها) .. لهذا نطلق على هذه الحشرة اسم (كاتى ديد) .. كلما كان حرارة الجو أعلى أمكنك سماع ما فعلته (كاتى) ! »

لمعت الإنصات للصوت .. فعلاً .. لم يخطر لى هذا بهذا لكنه تشبيه دقيق :

كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد ..

لكن ماذا فعلت (كاتى) ؟ يبدو أن الرقابة حذفت هذا الجزء .. هذا نموذج آخر للفوارق بين ثقافات الشعوب .. لم يحسم بعد الخلاف حول ما إذا كان الخروف يقول (ماء) عندنا أم (باء) عندهم .. يومئهم تتساءل (من Who?) . بينما عندنا تعوى القطة منادية (داوود) والكروان يردد (المك لك لك) ..

قال العجوز :

ـ « البعض يقوم بعد الفعلة كالتى « ثانية .. هم .. جرب هذا .. »

نظرت له فى غباء ثم رحت أنظر لساعتى المضيئة .. واحد .. اثنان .. ثلاثة ..

ـ « أربعة .. »

ـ « أضف لهذا الرقم أربعين تحصل على حرارة الجو ! »

إذن حرارة الجو ٤٤ مئوية ؟ سبحان الله ..

www.liilas.com

ـ « هذه الحشرات حساسة للحرارة فعلاً .. سوف تجد أنها تتأخر عندما تقل حرارة الجو عن ١٥ .. إن الطبيعة كتاب مفتوح يا صبى .. »

صبى ! لم يطلق على أحد هذا اللفظ منذ كنت فى العاشرة .. برغم كل شىء أسعدنى أن هناك من يكبرنى سناً إلى هذا الحد .. ربما كان القميص الرقيع الذى أرتديه هو السبب ..

راح يحكى لى الكثير عن الصحراء وعادات الحشرات حتى قلت فعلاً : بصوته الثقيل (المشلول) يحكى لى حتى بدأت أسترجع الدرس القديم ! يمكنك أن تحب أى إنسان مهما كان شكله إذا دنوت من روحه .. هذا الرجل ليس سيئاً .. معظم الناس طيبون ..

إلى أن تقترب من مصالحهم بشكل خطر !!

سألنى عن موطنى وعن سبب قدومى فحكيت له ما تيسر .. قال لى :

ـ « حر لعين .. كنا نعيش الصيف الهندى لكن الخطس القلب فجأة .. فى سنى يصير الحر عذابًا مقيمًا .. البرد كذلك .. باختصار كنت لا تطيق أى تغير فى حرارة الجو يا صبى .. »

ثم فكر قليلاً وأضاف :

ـ « كل شىء يتغير .. البلدة سوف تركل الصندوق قريبًا .. أشعر بهذا .. (لوسيفر) العجوز قد جاء يتقاضى حقوقه .. فلأكن إن لم يحدث هذا .. »

كنت أعرف تعبيرات الغرب هذه أو بعضها .. يركل الصندوق أو يشترى المزرعة معناها الموت . يبعثر القول معناها أنه عصبى .. بينما يواصل الرجل الكلام :

ـ « يقولون إننى أبخل وقد يمكن أن تجده على الحدود الجنوبية .. ربما هم محقون .. لكن فى سنى هذا يصعب أن تجد صديقًا غير المال يا صبى .. إنه لا يكذب عليك ولا يسرقك ولا يتخلى عنك .. ولولا المال الذى أملكه لأكلونى فى الصحراء لكلاب البرية .. هذه المحطة والمواتيل هما ما خرجت به من مشوار حياتى .. وأنا مصمم على ألا أفقدهما إلى أن يأتوا بى فى النعش .. »

ثم سألنى فى لهفة :

ـ « هل معك سجائر ؟ »

ـ « لا .. ولو كان معى فلن أعطيك .. »

www.liilas.com

ـ « هذا الطبيب اللعين يصر على أن أمتنع عنها .. عرضت عليه مالا مقابل أن يسمح لى بالتكاثر لكنه رفض .. وبعد هذا يقولون إن (سكروج) العجوز أبخل رجل فى الولايات .. »

ثم نظر إلى الأفق الشبحى المغلف بالظلام ، وقال :

ـ « فى يوم من الأيام كان هذا هو الغرب الحقيقى .. حيث الرجال رجال حقًا .. يؤمنون بمقولة واحدة .. »

قالت مقاطعًا :

ـ « على الرجل أن يقوم بما يجب على الرجل أن يقوم به ! »

نظر لى لوهلة فى ذهول وقال :

ـ « يا للشيطان .. لست غبيًا كما تبدو يا صبى .. من أخبرك بهذا ؟ »

★ ★ ★

(جولى) .. امسك بالقوس واعزف كمانك جيدًا ..

إن الجحيم قد تأجج فى (جورجيا) والشيطان يوزع أوراق اللعب ..

فلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من الذهب ..

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك !

★ ★ ★

صحوت من النوم متعكر المزاج .. أى إننى صحوت بحالتى الطبيعية ..

لكننى لم أحب جو الغرفة عندما صحوت .. حارة جدًا رطبة جدًا .. فالشمس تدخلها بحرية تامة عبر الستائر والنافذة مفتوحة .. جو عام من الزوجة والتعاسة .. دعك من كثرة الذباب وهو ذهاب الصحراوى شرس ..

الرائحة الكريهة الغامضة تتسرب من النافذة .. وهذا لم يجعل الحياة أروع ..

وظللت أحك رأسى ربع ساعة على الأقل ثم اتجهت إلى الحمام الصغير الملحق بالغرفة ..

نظرت لوجهى فى المرآة .. ثمة شىء غير طبيعى .. رفعت عويناتى ودققت النظر .. نعم .. هذا هو السبب .. أسنانى السفلى مجروحة دامية .. لو شئت الدقة فهذه

www.liilas.com/vb3

عضلة .. عضلة تلقاها اللحم الطرى وكادت تنتزع منه جزءاً .. الغريب أننى لم أشعر بأى ألم ..

فى البدء شممت تلك الرائحة العطرة الساحرة ، ثم شعرت بحركة فى الغرفة فخرجت .. وجدت تلك الفتاة (باتريشيا) .. الفتاة باردة الطباع إياها .. كان تحمل مكنسة وتقوم بعملها بحماس بأن تكوم الغبار تحت البساط ..

شعرت بحرج لأننى كنت أقف بالفتلة الداخلية وسراويل الملائمة .. وأدهشنى أنها لم تفزع أبداً .. ثم وجدت إنه لا داعى للحرج لأنها لم تلحظ وجودى أصلاً . فلو وقفت فى طريق مكنستها لأخفتنى تحت البساط أو الأخر ..

التقطت حاجياتى المكومة على الفراش فألقتها إلقاءة فى خزانة الثياب ثم شدت الملاءة .. وجهها لم يتغير لحظة ..

قلت لها فى حرج :

ـ « معذرة يا آنسة .. ا .. صباح الخير .. »

ـ « صباح .. »

قالتها دون أن تنظر لى .. فقلت فى حرج أكثر وأنا أشير لشفتى :

ـ « هذه .. وجدت هذه .. »

نظرت لى فى برود .. كأنها تحاول استبعاد كل ما لا يمت لموضوع السؤال .. أى إنها وضعت على جسمى ووجهى ملاءة سوداء فلم تبق إلا شفتى .. ثم قالت بذات البرود :

ـ « هذه قبلات .. هى قبلتك وأنت نائم ! »

عمن تتحدث ؟ معجبة خفية ؟ هل بلغ بها الوله بى هذا الحد ؟ أعترف أننى أملك ثغراً جميلاً أنا فخور به .. شفتين رقيقتين هما الشىء الوحيد الجميل فى وجهى لكن إلى هذا الحد ؟

رأت الغباء على وجهى فقالت :

ـ « يبدو أنك نائم طبعاً .. ! إنها تعيش هنا .. كلنا جرب هذا »

وأشارت إلى شفتها فرأيت ندبة خافتة هناك ..

ـ « هى نوع من الرق تتسلل حيث يرقد النائمون وتعضهم فى شفتهم .. يبدو أنها تفرز مخدراً ما لأن أحداً لا يلاحظ هذا إلا فى الصباح !! »

www.liilas.com

مثل الوطاويط مصاصة الدماء التى تخدر الجلد فلا يشعر الضحية بأنه يثقب وأن الدم يؤخذ منه .. هكذا قلت لنفسى .. واقشعررت للفكرة ..

- « هل .. هل تصيب مرضًا ما ؟ »

- « أنت أدرى يا (دوك) »

استجمعت ما أذكره من طب المناطق الحارة ، وقلت :

- « يقلل أعرف بقة (تريتوما Triatoma) التى تعض الناس فى شفاههم وتنقل لهم مرض (شاجاس Chagas) الذى أودى بحياة العالم الشهير (داروين Darwin) .. لكن معلوماتى أنها موجودة فى أمريكا الجنوبية والوسطى فقط .. لعل بقتنا هذه بقة حمقاء أو مشتقة تطلب الهجرة .. »

هذه الفتاة تعامل الناس كمجانين إلى أن يثبت العكس .. وجدتنى أقول أشياء غريبة على غرار (تريتوما) و(داروين) و(شاجاس) .. إلخ .. فمارست أسلوبها المعتاد .. ظلت تصغى إلى متظاهرة بأن كلامى الفارغ مهم جدًا ، ثم لم تعلق ونسيت الأمر برمته ..

انصرفت وهى تتجه للباب :

- « صديقك .. ذلك الأشقر .. »

- « هل مات ؟ »

ضحكت فى ريع ثانية ثم عادت لبرودها ، وقالت :

- « سوف يتمنى ذلك .. لقد تشاجر فى الملهى وقبض عليه المأمور .. إن (بيكسر) العجوز كان ينتظر هذه الفرصة منذ رأى وجهه !! »

وغادرت الغرفة ..

بقة القبلات أصبحت بى !

هذا يدعو للفخر ..

★ ★ ★

-3-

أدور حول السجن راسماً خططاً جهنمية ..

هناك نافذة عليها قضبان .. وهى منخفضة .. لن يحتاج الأمر إلا إلى جواد قوى وأشوطة .. وخطاف أربطه بالقضبان ثم أركض فتنتزع النافذة .. يخرج السامور ليطلق على الرصاص تلقى أرديه قتيلاً ثم أفر وخلفى على الفرس (هارى) .. أنا الآن (ديسبيرادو Desperado) يفر إلى الحدود المكسيكية فصلى من أجلى يا أماه .. صلين من أجلى يا كل حسناوات أريزونا ..

نرى من سيتلو الصلاة على روحى ؟!

من سيبكى على ..

حينما أتدلى من المشنقة ؟

كنت أفكر فى المشكلة الوحيدة التى تعوق تنفيذ هذه الخطة ألا وهى العثور على حبل ، عندما وجدت أنى أقف أمام (هارى) !! هو بعينه لكنه مرفق مجعد الثياب متورم العينين .. دمك من الدم الجاف على حاجبه ..

- « هل .. هل تركك ؟ »

- « طبعاً .. كان يريد تأديبى فى الحجز ليلة على سبيل التهذيب .. وقد انقضت .. »

- « جئت لأخرجك أو أدفع كفالة أو .. »

- « لم يستأهل الأمر هذا كله .. لم أطلق الرصاص على مدرسة أطفال .. بالمناسبة ماذا أصاب شقيقك؟ »

- « دعك من جمال مظهرى ولنعد بك للموتيل . لأنك تبدو على وشك الموت .. »

لم تكن سيارته هنا لأنه تركها أمس أمام ذلك المقهى .. إذاً مشينا فى شوارع المدينة التى تحرقها الشمس .. قال لى وهو يحك ذقنه :

- « يبدو أن البراغيث ممنوعة فى هذه البلدة .. لهذا يأتون بها فى ذات الزنزانة التى كنت فيها »

- « قالت لى (باتريشيا) إن عطاءها انقطع من البراغيث ينتظرك .. »

- « لم تكذب كثيراً .. »

وراح يحكى لى ...

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

ـ « تعلمت كيف أدس أقراص المنوم لزوجى .. وحينما ينتظم تنفسه كنت أغادر البيت .. أهرع فى الظلام إلى ذلك المكان الذى اعتدنا أن نلتقى فيه .. »

صب لها القس بعض الشاى ثم عاد لمقعده ..

إنها تواصل الاعترافات المذهلة .. وهو يشعر بالهلع يومًا بعد يوم .. لكنه لا يعرف كيف يتدخل .. هذه أسرار خصوصية لا يحق له أن يخبر بها طرفًا ثالثًا .. لو جاءك (نيرون) وأخبرك أنه ينوى إحراق (روما) غدًا فهل تفشى السر ؟ أقانون الاعتراف يقول : لا ..

كانت (كاثريسا) الزوجة الحسناء تواصل الكلام وهى تمسك بقدح الشاى .. الرجفة فى يدها جعلت القدح يحدث رنينًا منتظمًا .. وقالت :

ـ « لم يحدث شىء .. أعنى أنه لم يحدث شىء مما قد يخطر لك ببال .. كنا نرقص فى دائرتين .. رقصة خاصة لم يعلمها لى أحد لكنى وجدت نفسى أجيدها .. نرقص .. نرقص حتى يغلبنا التعب .. »

ظل صامتًا ثم قال السؤال الذى كان يضنيه :

ـ « لا شىء من تلك الأشياء المشينة ؟ أنت تفهمين قصدى .. »

ـ « لا .. أعرف أنك تتحدث عن طقوس الخصوبة وما شابه .. لا .. فقط الرقص .. ثم كان هو يظهر .. »

كان قد سمع هذا الجزء من قبل .. لذا أشار لها بيده كى تتجاوزه .. فقالت :

ـ « هكذا استمر الحال عدة أيام .. حتى بدا الأمر يتخذ طابعًا مثيرًا للقلق .. أنت تعرف حالة الفيروية والطقوس التى يسببها الرقص المتواصل .. فهذا يبدأ مع الوقت أشبه بمنومين مغناطيسيًا وأن بوسطا عمل أى شىء .. وهكذا بدا الجزء المرعب من الأمر وهو السبب الذى دفعنى للقدوم هنا .. لقد جئتك كى ... »

ـ « كى ماذا ؟ »

★ ★ ★

ـ « كى أنام .. كنت منهكًا .. ورحت أتلك الزنزانة الصغيرة التى ألقى بى فيها الرجل .. »

www.liilas.com/vb3

كنت أمشى مع (هارى) تحت ضوء الشمس الحارق وهو يواصل حكايته .. لا صوت سوى أزيز الذباب .. الشوارع خالية تمامًا .. فقط يمكنك أن تسمع صوت الطبول المعدنية إياه .. من حين لآخر تمر بنا سيارة لا نرى قائدها ..

ثم أردف :

ـ « كان هناك فى الركن لوح خشبى طويل معلق للجدار فى وضع أفقى .. وخطر لى أن هذا على الأرجح فراش .. اتجهت نحوه فى الضوء الخافت المنبعث من مصباح واحد .. وعبثت بيدى كى أتسقه .. هنا فوجئت بأنه رجل نائم ! رجل نائم على لوح حقيقى .. رجل نحيل جدًا وقد ساعد لون ثيابه مع تغطيته لوجهه مع الوضع الغريب الذى اتخذه للنوم ، فى إقناعى بأنه لوح خشب .. طبعًا أصابنى الهلع فتراجعت للوراء .. نهض هو من الفراش .. كان أكثر من رأيت فى حياتى نحولا ، حتى إنه كان يوسعه القرار بين القضبان لو أراد .. له وجه متعب فاقد الحماس .. قال لى :

ـ « لا تخف من (سام) أيها الغريب .. إن لى هنا فترة لا بأس بها حتى نسيت أن هناك بشرًا بالخارج .. على كل حال أعداء (بيكر) العجوز هم أصدقائى .. »

جلست جواره على ذلك اللوح الخشبى .. هنا وجدت لهنعى أن هناك شيئًا راقدًا على الأرض ، وقد ساهمت الإضاءة الخافتة فى ألا أتبينه ..

ركعت على ركبتى أتفحصه فوجدت أنه جسد بشرى .. جسد متكوم كخرقة ثياب عند قدمى بالضبط .. مددت يدى وهززته فشعرت كأنما أهز كومة ثياب بالفعل .. والجسد انقلب على ظهره ، فرأيت أن وجه الميت الشاحب .. تحسست عنقه فأقسم أننى لم أستشعر نبضًا ..

نظرت لجارى فى هلع ، وقلت :

ـ « جارك فى الزنزانة ميت ! »

قال بلا مبالاة :

ـ « آه ! هذه الأشياء تحدث .. »

ـ « ولا تهتم ؟ »

ـ « آه .. حقًا .. »

رحت أحاول تلقيب الجثة الملقاة عند قدمى .. يجب أن أنادى المأمور .. ما نوعية هذا الحجز الذى يترك الجثث فيه حتى تتعفن ؟!

فى اللحظة التالية فتح هذا الراقد عينيه وجلس .. لم يفعل هذا ليخيفنى ولم يكن يمزح .. فقط جلس كأنه كان يمارس عملا طبيعيًا معتادًا ، وقال :

ـ « آو .. نعم .. أعداء (بيكر) العجوز هم أعدائنا ! »

ثم ساد الصمت .. كانت هذه هى الطامة الكبرى .. تخيل ليلة مع هذين العجيبين .. ولم نتبادل أية كلمات أخرى ، غير أننى لم أنم ..

فى الصباح فتح المأمور الباب الحديدى حاملا صحفة عليها قهوة وبعض الخبز الجاف ، وأشار لى بالسلام قائلاً :

★ ★ ★

ـ « لا تأكلوا أكثر من حاجتكم ! »

عند هذا الحد كان القس قد بلغ نهاية تحمل جهازه العصبى .. أوع ! وأفرغ معدته فى عفف ..

ثم نهض وهو يجفف شفتيه وهتف :

ـ « أنا آسف .. فعلاً آسف !! »

عاد إلى الداخل وأحضر مكنسة وممسحة بينما (كلاريسا) جالسة لا تتحرك ولم يبد أنها اهتمت بتاتًا بكونه أفرغ معدته أمامها .. راح ينظف وهو يرتجف ..

وفى النهاية عاد ليجلس وشرب جرعة ماء ، وقال :

ـ « إن معدتى تقلصت .. »

ثم هتف فى هلع وقد استعاد المشهد :

ـ « هل هذا هو ما كان يحدث كل ليلة ؟ »

ـ « ثلاث ليال متوالية حتى قررت أن آتى وأخبرك بهذا كله »

ـ « هل تعرفين ما تقولين ؟ إن هذا أخطر اعتراف سمعته فى حياتى .. »

www.liilas.com/vb3

ـ « لكنه سيظل سرًا .. أنت وعدت بذلك »

ـ « هذا الذى يحدث منافٍ للطبيعة .. إن هذا الشىء يأمركم بخرق كل قواعد البشرية المتعارف عليها حتى بين قبائل (البوشمان) .. وهل شاركت فى هذا النشاط ؟ »

ـ « للأسف نعم .. »

ـ « ورائق لك الأمر؟ »

ـ « لم يكن سيئًا على الإطلاق .. »

ـ « وماذا عن هذا الشخص المختار ؟ »

ـ « كان ينهض فى النهاية وهو يبتسم .. كان يكمن .. ثم يؤذه ما حدث على الإطلاق .. »

ـ « وكان هو ذات الشخص كل ليلة ؟ »

ـ « كلا .. كان يتبدل .. وفى الليلة الثانية شاركنا مختار الليلة الأولى ذات الطقوس مع شخص آخر »

فكر القس قليلاً .. وراح يجفف صدره المبتل ثم قال :

ـ « إذن هى لعبة دوارة كالكراسى الموسيقية .. لا بد أن يأتى عليك الدور يومًا ؟ »

قالت فى هدوء دون أن يبدو على وجهها أى انفعال :

ـ « لا .. الشخص المختار هو من تلك المجموعة ذات البطون الكبيرة .. أعتقد أن هناك أشخاصًا تم إعدادهم لهذا »

إن الأمر سيئ .. فكر القس .. إنه أسوأ من أى شىء قرأ أو سمع عنه فى ألعن طقوس عبادة الشيطان فى التاريخ .. الغريب أنه صار الآن يتمنى أن يكون الأمر متعلقًا بعابدى الشيطان .. على الأقل يمكن مجابهة هؤلاء وأساليبهم معروفة ..

قال لها :

ـ « حسن .. هل عدت لهذه اللقاءات بعد مجيئك لى ؟ »

★ ★ ★

ـ « لا .. »

قالها (هارى) وهو يفتح باب غرفته فى الموتيل .. وأردف :

ـ « لا .. لم يقدم لى إفطارًا .. قال إنه مخصص للأخوين (كالاهان) .. إذن هذان كانا أخوين .. قال وهو يناولنى

www.liilas.com/vb3

حاجباتى إنهما فتيان طيبان لكنهما يملكان ميولا صبيانية مثلى .. أحدهما يهوى التظاهر بالموت لعدة ساعات حتى إن أكثر من مواطن مذعور اتصل بالمأمور ليخبره برؤية جثته .. الآخر يستغل جسده الرفيع فى التوارى ويفزع الناس عندما يتحرك .. إنهما صبيان مزعجان وفى السجن خير علاج لهما .. لكنهما يعانيان حالة مزمنة من العودة للسجن كلما خرجا منه .. يبدو أنهما يسليانه على كل حال . أنت تعرف هذه العلاقة التى تنشأ بين السجين والسجان مع الوقت .. »

ثم أضاف (هارى) :

ـ « وفى اللحظة التى خرجت فيها إلى الشمس وجدتك أمامى .. »

ـ « لم أعرف أنك مسجون إلا صباح اليوم .. »

ـ « لكن ماذا أصاب شفتك ؟ »

ـ « بلا خطر لها أن شفتى جميلة .. هذا نوع من الإطراء .. »

ـ « وهل هذا خطير ؟ أعنى هل يمكن أن تكون حقنتك بالسم ؟ »

ـ « لا أعتقد .. لكن هناك مرضا مرعبا ينتقل بهذه الطريقة .. سوف أرى .. »

ثم توقف (هارى) وهو ينظر إلى الفراش الذى لم يمس نيلة أمس فى غرفته ، وسألنى :

ـ « بالمناسبة .. هل رأيت (باتريشيا) اليوم ؟ »

★ ★ ★

ـ « نعم ، مرة أو اثنتين .. »

استشاط الفتى غضبا .. ثم بدأ معى يفاوضنى بسهولة لكن الأمر استفزنى ، فقال لها :

ـ « أنا لا أتعامل على الخطيئة .. إن الإنسان واهن بطبعه .. لكنى لا أبتاع أن يقترف المرء إثما وهو مستمر عليه مخلص له .. »

للمرة الأولى بدا انفعال على وجهها فرفعت عينين دامعتين له ، وقالت :

ـ « أنت لن تفهم يا أبت . إن الأمر أقوى منى .. يسهل أن تتصور الأمور بسيطة وأنت جالس هنا .. وعندما تكون

www.liilas.com/vb3

هناك تجد أنه من المستحيل أن تفلت .. كما يبذل مدمنو المخدرات الوعود أمام الناصحين ، فإذا انفردوا بأنفسهم وجدوا أن الأمر عسير حقاً .. »

لكنه كان يفهم أن هناك سبباً آخر .. لقد رأى خطأة كثيرين ويعرف أن ما يدفعهم للاستمرار فى الإثم هو ذلك الشعور الغامر بأنهم تنوثوا فعلاً .. الثوب الأبيض صار أسود ولم يعد من الممكن غسله .. إنهم يفقدون احترامهم وتقديرهم لذواتهم من ثم لا يرون بأساً من التمادى ..

كان يعرف أن الخطوة الأولى هى إعادة ثقة هؤلاء بأنفسهم وبأن الله سوف يغفر لهم إذا هم تابوا فعلاً ..

لكنه ـ للمرة الأولى ـ يشعر بأنه غير بارع .. إنه واهن عاجز عن مساعدتها أو اتخاذ قرار ..

ما قالته له كان ملزعاً .. وهو يدعم ذلك الشعور بقرب النهاية الذى يمضه منذ البداية ..

« لو كنت تؤمن بالمواجهة النهائية مع الشيطان أيها الأب فلتهتم بالا .. يبدو أنك ستعيش لتراها !! » .. قالتها له للمأمور يوماً ويبدو أنه كان على حق فعلاً ..

المشكلة هى أن جنود الخير مرتبكون متفرقون عديمو الخبرة بكيفية مواجهة موقف كهذا .. دعك من أن بعضهم مثل المأمور لا يبدون جنود خير على الإطلاق ..

قال لها بصوت مبحوح :

ـ « للمرة الأخيرة أطلب منك هذا الطلب .. لا تذهبى هناك أبداً .. لو ذهبت الليلة أو أية ليلة فاعلمى أن بابى مغلق من دونك .. »

★ ★ ★

ـ « هى التى أخبرتنى بأنك سجين »

ابتسم (هارى) وتحسس الجرح على جبهته ، وقال :

ـ الأب (ملفارى) ينفض الغبار عن يديه وهو يغادر قبرها ..

فلم يتم خلاص أحد . .

هؤلاء الناس الوحيدون .. من أين يأتون ؟ ولأين ينتمون ؟ »

★ ★ ★

ـ « هى التى أخبرتنى بأنك سجين »

ابتسم (هارى) وتحسس الجرح على جبهته ، وقال :

www.liilas.com/vb3

ـ « فتاة عصبية جداً .. ما إن نشبت المشاجرة حتى انصرفت دون أن تنتظر لتعرف ما حل بي .. »

ـ « هكذا تفكيركم عامة معشر الأمريكيين .. أو هذا ما أعتقده .. لعل سبب ارتباطي بك هو أنك أمريكي يحمل قلبًا مصريًا .. ولكن دعني أحذرك من التورط مع هذه الفتاة .. إنها في رأيي تملك ذات رقة وحنان سمكة القرش .. »

ـ « وهذا سر سحرها .. »

ثم تأمل وجهه في المرآة المعلقة على الحوض ، وقال :

ـ « أنت (ميزوجين misogynic) حقيقي .. تتوقع دائمًا أن المرأة كائن (آخر) غامض .. خطر داهم .. »

ـ « وأكون على حق .. من المؤسف أنني أكون على حق .. »

فعلاً من المؤسف أنني أكون على حق ..

★ ★ ★

-4-

كاتي ديد .. كاتي ديد .. كاتي ديد .. كاتي ديد .. كاتي ديد .. كاتي ديد ..

★ ★ ★

هل هي أنت ؟

كنت جالسًا في الكافتيريا مع دخول المساء أتناول طعام العشاء عندما رأيتها .. (هاري) لم يكن من الأولاد الذين يتأثرون بسهولة عابرين فقرروا تناول طعامهم .. تلك الفتاة (باتريشيا) تتأثر معهما وهي تدس يدها في جيب المريولة الذي تضع فيه ....

عندما رأيتها ..

دخلت الكافتيريا .. رقيقة كالحلم شفافة كالحزن المساء ..

هل هي أنت ؟ أعرف أنك قادمة للقاء التقينا عليه .. لكني لم أتصور أن يحدث علنًا وفي مكان عام .. ثم نظرت

www.liilas.com/vb3

جلست إلى منضدة بجوار النافذة .. منضدة عليها أباجورة ساطعة تؤذى العين لكن بدا أنها لا تبالى بها .. أزاحت الستار لترمق النيل فى الخارج فى نهم .. التهمت نها السمائية فرسمت لها بيدها شكل قدح قهوة .. وتكورت أناملها لترسم الدخان الخارج منه ..

ثم نظرت لى من جديد ..

نهضت بلا تفكير واتجهت إلى منضدتها ..

رفعت نحوى عينين منسالتين ، فقلت وأنا أنوم نفسى على هذا النهوض :

- « معذرة .. أعرف أن طلبى غريب .. هل تعرفين د. (رفعت إسماعيل) ؟ »

نظرت لى فى غباء .. فأردفت :

- « هل سمعت عنه ؟ »

- « لا .. »

- « إذن هل تمانعين فى أن تعرفيه ؟ »

إلى العلامات الخمس فلم أجد لأيًا منها .. كلا .. لست أنت ولكم يحزننى هذا ..

الفتاة ترتدى ثوبًا صيفيًا خفيفًا يجعلها أكثر شفافية .. ولها تلك الأنف العظمى البارز نوعًا الذى لا أرى جمالا فى أى وجه ما لم أره .. التحول .. العينان الساحرتان .. الأصابع الطويلة النحيلة والمعصم الذى ترى كل وريد فيه .. دعك من الإرهاق العام .. إن الحر يقتلها برغم أن المساء قد جاء ..

مرت بجوارى فشممت أنفى رائحة عطر شممتها فى حياتى .. عندما يخرج العطر من دائرة المخدرات إلى دائرة المخدرات .. ما اسم هذا الشىء ؟

الحق أننى رحت أقطع الحساء بالسكين وأشرب الخبز .. وفى سرى شعرت بذهول لأننى ما زلت حيًا إلى هذا الحد .. فجأة ينازعنى أحدهم من وراء المجهر الذى أراقب به الحياة ليضعنى تحته .. أتحول من مراقب للجراثيم إلى جرثومة سعيدة ..

كانت تمشى بين المناضد .. ثم نظرت لى فى حيرة .. تتساءل لماذا أنظر لها بهذا الاهتمام ..

www.liilas.com/vb3

نظرت لى وبدأت تلهم وأشرق وجهها نوعًا .. فقلت فى كياسة :

ـ « لكن عمليين .. أنا لن أترك هذه الفرصة تفلت أبدًا لأننى قد لا أقابلك ثانية .. ربما كان فى شخصى ما يثير اهتمامك .. تدع المظهر جانبًا لكنى أنصحك أن تجربنى وفى النهاية لن تخسرى شيئًا .. »

قالت فى دهشة :

ـ « ما هذا الذى تقوله ؟ »

ـ « أقول إننى أشعت من الفرص فى حياتى ما يكفى لبعض أعرف الفرصة الثانية الموشكة على الضياع .. إنه ذلك الشعور بأنك جئت هنا بملئك لسبب قدرى معين .. لا أتحدث عن هيامى بك فأنا لم أرك إلا منذ ثلاث دقائق .. أتحدث عن حاجتى إلى معرفتك أكثر .. »

قالت وهى تضحك :

ـ « بئله عليك اجلس .. لا يحتاج الأمر إلى خطبة إغريقية .. »

وهكذا جلست .. وكان أول ما فعلت هو أن أطفأت الأباجورة قبل أن أصاب بالعمى ..

بدأت تسألنى عن نفسى فأجبت بأمانة ..

جاءت الفتاة (باتريشيا) بالقهوة ، ونظرت لى بخبث .. ثم وقفت تصغى السمع فى صفاقة .. فنظرت لها قائلاً :

ـ « هل تريدين شيئًا ؟ »

ـ « هل أضيف الحساب على الفاتورة يا دوك ؟ »

ـ « العشاء ! طبعًا .. أنت تفطنين هذا دومًا .. »

ـ « بل أتحدث عن القهوة .. قهوة الأنسة ! »

هذا نوع من الإحراج المتعمد فقلت لها فى غلظة أن تفعل .. فلما انصرفت سألت الفتاة عن حياتها .. من هى ؟ من أين جاءت ؟ لا بد أن زهرة نرجس تنهدت فى مكان ما فخرجت هى من بين بتلاتها .. ربما جاءت من حيث تجسر الثلوج وحيث يحلم النمل الأخضر .. من حيث تتوارى الأقمار .. كان (جحا) يعتقد أن الأقمار القديمة يتم تكسيرها ليصنعوا منها الأهلة .. لا بد أنها جاءت من بقايا الأقمار هذه ..

www.liilas.com/vb3

قالت بصوت لا يمكن وصفه :

ـ « فى الحقيقة لى حياة لا أريد الكلام عنها .. لقد قال إننى أحاول أن أنسى بها وراء ظهرى .. لتقبل إننى من (المولودين من جديد) .. دعنا لا نتحدث عن هذا .. »

ـ « واسمك .. هل لديك واحد ؟ »

ـ « أفضل أن تناديني (مايا) .. »

ـ « ليكن .. أى شىء .. »

نظرت صوبها لتتأكد من أن لعبتها لا ينظر ، ثم قالت :

ـ « لعلك تساءلت عن السبب الذى جعلنى أقبل عرضك بالتعارف .. »

هززت رأسى فى عدم فهم .. حسبت أن السبب أننى كنت رائعًا أو على الأقل ملتفتًا ..

قالت بابتسامة :

ـ « الحكاية هى أننى أبحث عن عريس .. وأنت تبدو صالحًا .. هل تقبل الزواج منى ؟ »

نظرت لها فى غباء .. (رفعت) العجوز لا يقابل إلا المخابيل .. هذه عادته .. إن كنت ريحًا فقد صادفت إعصارًا .. أنا الذى حسبت تصرفى مجنونًا بما يكفى ، قوبلت بما هو أكثر جنونًا ..

قلت لها وقد توترت :

ـ « ماذا تعنين ؟ أنا لم أكلمك إلا منذ ربع ساعة .. »

ـ « هذا كاف .. أنت تعتقد أنه من واجبك أن تعرفنى أكثر .. وقد فشلت .. »

قلت لها فى حزم وقد صعد الدم إلى رأسى :

ـ « أنت تعيشين بى .. أنا آسف .. كالعادة يعتقد المرء أن الرأس الجميل يحوى عقلا أجمل ، لكن هذا خطأ فى كل مرة .. »

عادت تقول بإصرار :

ـ « لا مزاح فى الأمر .. من فضلك .. أنا جادة تمامًا .. سوف يزوجنا قس القرية ونمضى شهر العسل فى هذا المونتيل .. »

www.liilas.com/vb3

قلت لها وأنا أنهض :

ـ « آسف .. دعك من أنانى أجنبى وهناك إجراءات معقدة للزواج .. لكنى أرى الأمر كله مزحة .. »

وتركتها جالسة حيث هى وجلست بعيدًا أحاول ألا أنظر باتجاهها .. (باتريشيا) الفهلة رفعت الأطباق التى كنت آكل منها وهى مليئة .. ليس على أن أتحمل جراح الكرامة والقلب فقط ، ولكن يجب أن أتحمل الجوع كذلك ..

★ ★ ★

كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد ..

★ ★ ★

مرت بى (باتريشيا) فقالت دون أن تنظر لى شيئًا لم أتبينه .. لا صعوبة على كل حال فى استنتاجه .. لا بد أن هذه هى النسخة الأمريكية من تعبيرنا نحن المصريين (يا ميت خسارة على اللى حب ولا طلش) .. إنها تسخر منى ..

مرت دقيقة .. ثم رفعت رأسى على صوت يقول :

ـ « لكنى متزوج !! »

نظرت فى دهشة إلى مصدر الصوت فأصبت بالهلع .. كانت الفتاة الرقيقة تقف أمام الرجلين اللذين كانا يتناولان الطعام وهى تحاول إقناعهما بشىء .. وقد بدت عليهما الدهشة .. التفتت إلى الرجل الثانى وكررت عرضها فهتف فى مزيج من الغلظة والمزاح :

ـ « لا أحد يتزوج بهذه الطريقة ! »

هذه الفتاة مجنونة فعلاً .. لم تكن تمزح .. لقد فقدت كل إعجاب بها لتتحول الأمر إلى مزيج من الشفقة والرعب .. منذ دقائق كنت أخطب ودها والآن أتجنبها كأنها مصابة بالجذام .. دعك من شعورى بالشفقة لأنها تنزف كرامتها الأنثوية ، بذات الطريقة التى يلزعك فيها مشهد رجل ينزف دمه على قارعة الطريق .. لا يجب أن تمر فتاة بتجربة كهذه .. رباه ! لا يجب أن تتعرض فتاة لتجربة كهذه .. الرجال يتحملون أكثر وجلدهم ثخين بما يكفى .. أما هذه ..

هنا دخل (هارى) المكان وهو يصفر .. ومن خلفه جاء (شوارتز) بقامته الفارعة المهيبة ..

www.liilas.com/vb3

- « هاى (باتى) .. »

قالها للمسافية فردت ببرودها المعتاد :

- « هناك فتاة ترغب فى الزواج .. لو كنت تفكر فى الأمر فلا تتردد .. »

نظر إلى (مای) الواقفة ثم نظر لى فى عدم فهم .. فى هذه اللحظة رأيت الفتاة تأتى من حيث كنت ، وتقف أمام (شوارتز) ، تقول فى أدب :

- « سيدى .. هل كنت متزوج ؟ »

- « مطلق يا بنيتى .. لكن هل من سبب يدعوك لهذا السؤال ؟ »

- « هل ترغب فى أن تتزوجنى الآن ؟ »

نظر لى ولها ولـ (هارى) فى حيرة ، فقال (هارى) :

- « هذا الرجل يدعى (رفعت إسماعيل) .. وهو مصرية تتحرك على قدمين .. حيثما وجد تجد الغرائب والفظائع .. عندما تكون معه لا تندهش من أن تقابل فتاة تعرض الزواج على أى شخص يقابل .. »

كنت فى سرى أشعر بأن الفتاة ليست مجانونة على الإطلاق .. ثمة سر مهم وراء هذا الطلب .. هناك فيلم عربى قديم من بطولة (ماجدة) كان عليها فيه أن تظفر بعريس خلال أربع وعشرين ساعة وإلا فقدت حقها فى الإرث .. احتمال وارد لكنه خيالى جداً .. الاحتمال الثانى هو أن هذه candid camera وهناك من يصورنا خلفية ليضحك المشاهدون .. احتمال ضعيف لأن أحدا لا يبالى ببلدة كهذه ..

تجاهل (شوارتز) الفتاة الواقفة على بعد متر منه ، وقال :

- « حكى لى (هارى) عن لحظة التى تلقوها فى شقتك .. أنا أيضا تلقيت واحدة عندما جئت هنا .. هل تعتقد أننا فى خطر ؟ »

قلت فى بساطة :

- « أنت عالم الحشرات الطبية .. المفترض أن تخبرنا أنت .. »

- « وأنت طبيب .. يبدو أن الموضوع موزع بيننا فلن يجيب أحد .. »

www.liilas.com/vb3

هنا رأيت الفتاة تفارقنا فتعود إلى المنضدة التى كانت تجلس إليها ، فتزيح قدح القهوة .. أنعت الستار قليلاً عن النافذة وراحت تنظر بانبهار غير مبرر إلى أضواء محطة البنزين بالخارج .. ثم أسندت رأسها إلى ساعديها ونامت على المنضدة ..

قال (شوارتز) :

ـ « هذا أفضل .. سوف نلبق بحادثة أفضل .. بينى وبينك أعتقد أنها تلقت صدمة عاطفية ما .. ربما تخلى عنها حبيبها وظلت تهيم على وجهها حتى جاءت هنا .. »

بدا لى الأمر معقولاً ..

عاد (شوارتز) يواصل الكلام :

ـ « مر (هارى) بليلة عجيبة فى الحجز مع هذين الأخوين (كالاهان) .. مجرد صبيين مزعجين غريبى الأطوار .. إن هذه البلدة غريبة .. كل ما فيها لا يريح .. متى تزمعان الرحيل ؟ »

لم أكن أملك إجابة .. على أن أنتظرها حتى تأتى .. لو كانت هى تلك الفتاة لانتهت مشكلتى .. لكن على أن أنتظر ..

« هذا موعد بلا أعذار .. موعد يشبه الموت وعليك أن تلبيه أردت أم لم ترد .. »

هذا ما قالته لى .. وأنا أعرف من دون سواى أن هذا صحيح ..

قلت وأنا أحدق فى أفق لا أراه :

ـ « هناك أعمال يجب أن أقوم بها .. »

قال (شوارتز) :

ـ « هؤلاء الرجال من (فينكس) أتون غدًا .. سوف تبدو البلدة كساحة حرب .. »

فى هذه اللحظة دوت شهقة ..

نظر الجميع إلى مصدرها .. كانت (باتريشيا) تقف جوار تلك الفتاة (مارى) .. وقد سقطت الصحفة التى كانت تحملها ..

الفتاة ما زالت غافية على المنضدة ، لكننا الآن نفهم سبب الصرخة ..

(باتريشيا) تقول فى هلع :

ـ « الفتاة !! لقد ماتت !! »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

-5-

- « هل تأتى معى ؟ »

كانت (سندرا) تقف هناك فى ظلام الشارع والهواء يعبث بخصلات شعرها .. و(بيلى) كان هناك أيضًا ..

- « هل تأتى معى ؟ »

هذا هو العرض .. خذه أو اتركه .. أنت تعرف أنت تريد هذا .. لكن مشهد جثة (هارلسون) لا يفارقك ..

قال لها :

- « أنا أطالب بأن نبتعد .. إن ما يحدث شرير .. شرير بحق .. وقد فقدنا (جيمى) و(هارلسون) .. »

قالت فى صبر وهى تضغط على كلماتها :

- « (هارلسون) تصرف بحماقة .. لا أعرف كيف تصرف ولا كيف ضبطوه لكن هذا لن يحدث معنا .. »

- « ما زلت مترددًا .. »

قالت وهى تصدر مبتعدة :

- « كما تشاء .. أنا ذاهبة بنفسى .. يجب أن أعرف ما أصاب (هارلسون) .. من قتله ؟ »

- « ستجد جثته فى الصباح .. »

- « سوف يروق لى هذا .. على الأقل سأعود شبحًا لأذوق مذاقك المر .. »

ولم يتكلم بينما هى تتوارى فى ظلال الشارع .. كان يعرف أنه تصرف بجبن .. لكنه يعرف كذلك أن الأبطال المندفعين يلقون حتفهم سريعًا .. المغامر تمهل يجنبك الذين قرروا أن يبدوا أشجع ..

الحقيقة أن حياته بعد وفاة (هارلسون) تحولت إلى جحيم .. كابوس مستمر .. الأسوأ أنه كان يعانى المركب الفرويدى المعروف .. عندما يموت شخص تعلقه فإن هذا يجعلنا نشعر بأننا مسئولون عن موته ويقتلنا تأنيب الضمير ..

(الجثة كانت بلا رأس ولا عنق ولا كتفين) .

www.liilas.com/vb3

هذا هو الفتى الذى كان مليئًا بالحيوية ووسواس الطفولة .. ماذا حدث له ؟ من فعل هذا ؟

يبدو أن المأمور يتخبط بلا هدى .. هذه طريقة قتل أغرب لأساليب الوحوش .. لو كان هناك لغز طايق فى البلدة لأمكن فهم الأمر ..

كان (بيلى) كما قلنا كان يحب (ساندرا) وقد شعر بعد قليل بأنه قتل .. هى ذى حبيبتك تمشى فى الليل وحدها إلى أخطر بقعة على ظهر الأرض .. فماذا ستقول وماذا ستفعل عندما يهدون جثتها غدًا ؟ عندما يظهر لك أنك الفاعل الصامت - فى مرآك - الذى لا يرتشى ولا يقبل الأعذار ، فماذا عساك تقول ؟

هكذا وجد نفسه يمشى فى ذات الاتجاه الذى مشت فيه ..

إنها تتجه إلى الجسر القديم قرب المنجم .. هنا هو مكان الاجتماعات المعتاد .. تلتهما سيقانه .. إن عليه أن يجتاز طريقًا مختصرًا ..

كانت (مخالب الشيطان) هى تلك الأخاديد الصغيرة التى كانوا يلعبون فيها فى طفولتهم . اسم شاعرى جدًا يصف تلك المجارى المائية الجافة التى تتشعب حتى تصل إلى المنجم .. وهى ليست طريقًا سهلاً لكنه يختصر الوقت ..

(يونج يونج) .. صوت القرعات المعدنى هذا ..

إن الليلة مقمرة ، لهذا يوسعه أن يجرب اجتيازها ..

سوف يلحق بها هناك فى ذات لحظة وصولها .. وسوف يراقب معها الطقوس لتقتل ثم يلحقها بالعودة معه ..

★ ★ ★

من بين عينيه المغمضتين شعر بها تتحرك بحذر فى الغرفة ..

تتحرك بخفة .. ترتدى ثيابها ثم تنتعل الحذاء الخفيف .. ومن حين لآخر ترميه بنظرة عابرة للتأكد من نومه ..

كان الأستاذ (رتشاردسون) الآن يرى المشهد الذى قتله حوالى عشر مرات من قبل ، والسبب هو جرعة المنوم التى تدسها فى شرابه كل ليلة .. لكنه الليلة قد بدأ يشك فى

www.liilas.com/vb3

الأمر .. هذا النوم العميق كل ليلة هو الذى لم يكن ممن يجيدون النوم قط ، ثم الأقراص التى ما انفكت تنقص فى الزجاجة فى الحمام .. عملية حسابية بسيطة دلته على الحقيقة .. (كلاريسا) تخدره كل ليلة ولكن ما السبب ؟

هذه تحركات من هو مزمع على الخروج .. ولكن لأين ؟

هكذا ظل يحبس انفعالاته ويتنفس بعمق وهدوء ..

إلى أن سمع الباب يفتح ..

عندها وثب من الفراش وجلس يفكر .. من المستبعد أن يخدع بها على الأرجح .. إنها تخف منه وتتحرك برشاقة .. من الجلى أنه لن يجدها فى الظلام .. سينتظر هنا حتى تعود .. وسوف يطلب منها تفسيراً ..

(كلاريسا) ؟ الرقيقة الحسناء ؟

كان يجب أن يتوقع هذا .. لم يكن حظه حسناً قط لهذه الدرجة من قبل .. كان هذا أجمل من أن يكون حقيقة ..

★ ★ ★

فرغ المأمور من فحص الجثة ..

ثم جلف عرقه ودار ليجلس على أول منضدة قابلها .. إنه فى موقف عسير لكنه لن يعترف بهذا أبداً ..

قال وهو ينظر إلى الشرشف كأن أحداً مهمة تدور عليه :

ـ « ماذا شربت يا (بالتى) ؟ »

قالت السكرة التى تمالكت نفسها أخيراً :

ـ « قهوة .. »

ـ « وهل بدر منها شىء غريب ؟ »

قال أحد الرجلين اللذين كانا فى المكان واللذين رأيا كل شىء :

ـ « شىء غريب ؟ لم أر قط فتاة أغرب أطواراً من هذه .. »

قال (شوارتز) فى هدوء :

ـ « لقد عرضت الزواج على كل رجل فى هذه الكافتيريا .. خلال خمس دقائق ! »

نظر المأمور للجثة التى ظلت فى وضعها السابق على المنضدة .. وإن كانت عيناها مفتوحتين تحدقان فى لاشىء .. الجمال النائم .. هذا ما جال بذهنى وقالها .. أو (الموت يليق بها) وهو عنوان فيلم أمريكى سنعته بعد هذه الأحداث

www.liilas.com/vb3

ياعوام .. هذا جمال خلق ليموت .. ومع الموت يصير فى أفضل حالاته ..

قال بصوت متعب :

ـ « (ستيف) .. هلا فتشت حقيبتها ؟ »

اتجه الفتى المتبختر يعبث فى حقيبة الفتاة ثم غمغم :

ـ « لا أوراق .. لا رخصة قيادة .. »

كنا نعرف هذا لأن البحث خارج الكافتريا لم يجد لها سيارة لا نعرف صاحبها .. هذه الفتاة جاءت من مكان ما راجلة ..

ـ « علبة أقراص استهلكت منها الربع .. »

ألقيت نظرة على المكتوب على العلبة .. إسبيرين فوار ..

قال المأمور فى رضا وقد ضرب المنضدة بقبضته :

ـ « هذا يوضح الأمور ! الفتاة مرت هنا فى سيارة شاب تعرفه .. تشاجرت معه .. هكذا دخلت هنا ورأت تتصرف بطريقة حمقاء .. ثم ابتلعت جرعة عالية من الإسبيرين ومالت .. »

لم يرق لى الأمر .. فتدخلت :

ـ « الإسبيرين لا يقتل فجأة .. ثم إننا لم نرها تبتلع أى شىء .. دعك من أن جرعة الإسبيرين القاتلة عالية جدًا تقارب من قرص لكل كيلوجرام .. أى إنه كان عليها أن تبتلع نحو خمسين قرصًا .. بهذا كانت ستجد العلبة فارغة .. »

ثم تذكرت أنهم يفكرون بالرطل هنا فقلت :

ـ « هذا لو كان وزنها حوالى ١١٠ أرطال .. يبدو أن هذا معقول .. »

نظر لى فى ازدراء .. إنه يكره من يعترض على كلامه .. دعك من أن هذا يتعب عقله لأن عليه البحث عن جواب آخر ..

قال فى ضيق :

ـ « هذه الوفاة المفاجئة لم تحدث بسبب الشيخوخة .. »

ـ « هناك سموم قليلة جدًا تسبب الموت بهذه السرعة لو أخذت بالفم .. لا أعتقد أن الفتاة كان تحتسو شرسًا بالسيانيد لتكسره عند القبض عليها كما يحدث فى قصص الجاسوسية .. فى هذه الحالة يمكنها أن تموت فجأة لكنك كنت ستشم رائحة اللوز المر .. »

ـ « إذن كيف ماتت ؟ »

www.liilas.com/vb3

بيرود قلت :

ـ « لا أحد يعرف .. فقط يستطيع التشريح أن يخبرك .. »

ساد الصمت .. كأنه فيلم سينمائى اجتمع فيه عبقرة المونتاج ليعطوا تأثير التوتر .. دقات أنامل المأمور على المنضدة .. خطوات مساعده .. وجه الجثة .. العرق على وجه المأمور .. عينا (بانريشيا) .. قبضة (هارى) .. صوت (بانج بانج) القادم من لا مكان .. دقات الساعة .. (Isenstein) المخرج السوفييتى العظيم خبير المونتاج ما كان ليحلم بتقطيع أقوى من هذا ..

فجأة قطع الصراخ أن صاح المأمور فى عصبية :

ـ « ما صوت الدق هذا ؟ »

لو كنا فى مصر لاقترحت أنهم يصنعون (الكلنة) ، لكنى اكتفيت بأن قلت :

ـ « سيدى .. هذا الصوت مستمر منذ جئت أنا هنا .. يصعب أن أصدق أنك لم تسمعه إلا الآن .. »

قال (شوارتز) :

ـ « بل منذ جئت أنا .. »

لكنى كنت أعرف أن أشياء كهذه تحدث .. عندما يستمر الصوت طيلة الوقت وبلا انقطاع فإن وعيك يتجاهله .. نحن لا نشعر بدقات الساعة المعلقة على الجدار إلا عندما تتوقف .. عندها نشعر بحيرة وارتباك ونتساءل عن كنه الصوت الذى صمت .. هل كان هناك صوت ؟ ماذا كان ؟ ولماذا صمت ؟

نظر المأمور لمساعده متسائلا فقال هذا بنهجة من أدى عمله جيداً :

ـ « لم نعرف مصدرها .. تأتى من مكان ما فى الجبل .. »

هز المأمور رأسه كأنما يلخص هذا كل شىء .. ثم نهض متعبًا وقال للمساعد :

ـ « تأكدوا من نقل هذه إلى بيت الجنازات .. سوف يفحصها رجال (فينكس) بأنفسهم .. »

ثم دس يديه فى جيبه ويصق على الأرض وغمغم :

ـ « ماذا يحدث فى هذه البلدة ؟ يحق السماء ماذا يحدث هنا؟ »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

-6-

لم تكن الأخاديد التى يطلقون عليها مخالب الشيطان كما عرفها ..

كان (بيلى) يجتازها بسهولة كما اعتاد لكنه تعثر عندما توغل فيها أكثر .. وأدرك أنها مسدودة ..

راح يتحسسها بأنامله .. بالقفل .. هناك جدران تسد أكثر هذه الأخاديد .. جدران بارتفاع قامة الرجل العادى .. بناء شديد التعقيد يمتد لعدة أمتار ..

راح يحاول أن يلتحم هذه الجدران .. إنها هشة .. اقترب فى ملمسها إلى الورق المقوى .. ورق رمادى تم بنائه بأشكال معقدة .. هناك غرفة تقود إلى أخرى .. وأخرى تقود إلى أخرى ..

ما هذا الشىء بالضبط ؟ من الذى يضيع وقته فى بناء بيوت من ورق مقوى فى هذا المكان ؟

أصابه الذعر .. إنها الكلوستروفوبيا التى تشعر بها وأنت تزيح جدارًا لتجد خلفه آخر .. راح يعزق ما استطاع

تمزيقه .. لابد أنه احتاج إلى عشر دقائق حتى يخرج من هذه الممرات المتشابكة المعقدة .. وبالطبع تم هذا بطريقة التمزيق .. فلو اعتمد على الزحف فى هذه المتاهة لظل هناك إلى يوم يبعثون ..

فى النهاية وجد نفسه خارج أحد هذه الجدران الورقية .. وكان يركع على ركبتيه فى قاع الأخدود ..

فى اللحظة التالية صرخ هلعًا إذ تمسك به أحدهم من الخلف ..

سقط على الأرض فشعر بالجسد يسقط فوقه ..

التقط حجرًا وتأهب كى يضربه هذا المعتدى .. لكنه رأى البذلة السوداء والياقة البيضاء .. وسمع صوتًا مميزًا يقول :

- « أنت (بيلى) .. ماذا تفعل هنا ؟ »

إنه القس ..

لكنه كان فى حال هستيرية جعلته لا يثق بأى إنسان على الإطلاق .. ظل وثب وثبتين حتى خرج من الأخدود .. وأثار دهشته أنه الآن يرى مدى امتداد وتعقيد تلك الشبكة من الحجرات الورقية .. لها تنسيق هندسى لا بأس به لكنه

www.liilas.com/vb3

ليس ذلك الشكل المميز لأعشاش النحل .. إنه بالتأكيد قلل إقفالنا ..

قال القس وهو فى قاع الأخدود :

ـ « لا تخف يا (بيلى) ... لا تخف .. كنا سقطنا هنا مثلك .. »

صاح الفتى فى عصبية :

ـ « ولماذا جاء بك هنا ؟ »

ـ « ربما كان على أن أسألك السؤال ذاته .. »

سكت الصمت هنيهة ثم أردف القس وهو يبتسم ابتسامة ذات مغزى :

ـ « أنا أعرفك وأثق بك .. سأجرب أن أثق بك ثانية .. وعلى أقمن .. أنت هنا لتقرض ذاته .. »

صمت (بيلى) وقد أدرك أنهما متقاعسان ..

قال القس :

ـ « جئت لتلقى نظرة .. هه ؟ »

قال (بيلى) وهو يستجمع أنفاسه :

ـ « نعم .. نحن نعرف سرهم منذ زمن .. أعتقد أن (جيمس) و(هارلسون) هلكا لأنهما عرفا أكثر من اللازم .. (ستدرا) صممت على أن تذهب وحدها .. أحاول اللحاق بها قبل أن .. »

قال القس وهو يعد له يده كى ينزل إلى الأخدود ثانية :

ـ « أعرف هذا الطريق المختصر منذ طفولتى .. إننى أرتاب بهذه الطقوس .. لا أستطيع أن أعطى تفاصيل .. لكن الطريقة الوحيدة للاطمئنان هى أن أرى بنفسى .. لا أستطيع إبلاغ المأمور بشىء لأن ما عرفته عرفته تحت الاعتراف .. »

ـ « إن المأمور أغبى من أن يصدق على كل حال .. »

فجأة صمت القس ولمعت عيناه فى ضوء القمر فبدا منظرها مخيفاً ..

فتح (بيلى) فاه ليتكلم لكن القس وضع أصبعه على شفتيه ..

تشومب .. تشومب !

تصورت أنك من هناك .. من الناحية الأخرى لهذا الأخدود ..

www.liilas.com/vb3

وفى صمت وخفة زحف القس زحفًا ومن خلفه (بيلى) .. كانا يقتربان من مصدر الصوت ..

على الناحية الأخرى كان هناك جذع شجرة عتيق متعفن .. يرقد فى ضوء القمر كأنه لقى أسطورية عملاقة .. وفوق الجذع كان يرقد رجل شعرا بأنهما يعرفانه جيدًا ..

(توم لين) .. إنه من عمال المنجم .. رجل قصير القامة أصلع متين البنيان ..

يرقد فوق الجذع وقد احتضنه بكلتا يديه .. أما الغريب فهو أنه يقضم الخشب بلا توقف وبنشاط غير مسبوق .. تشومب تشومب !!

كان يأكل بلا كلل .. بدا منظره فى ضوء القمر كأنما هو آت من كابوس .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا .. تقلق مرت على هذا المشهد ثم إنه نهض مترنحًا ..

وراح يصق ما مضغه على الأرض .. يمكنك أن ترى أنها عجينة بيضاء متجلسة .. عجينة سخية لا تصدق أبدًا أنها كانت فى فمه ..

أما عن القس والقتى فإننى أترك لخيالك تصور ما شعرا به وقتها .. صرخة أوشكت أن تصدر من القتى فكتم القس فمه بيده ..

ليس هذا وقت الصراخ .. بالله عليك ليس هذا وقت الصراخ ..

ينهض (توم لين) من حيث كان .. يقف فى ضوء القمر .. يبدو أنه يتثاءب ..

وفجأة يفهم

لقد رآنا !!!

كيف رآهما ؟ لا أعرف .. المهم أنه وثب إلى حيث كانا فى الأخدود .. وبسرعة البرق رآياه ينقض عليهما .. قال القس شيئًا . وفى اللحظة التالية مر الرجل بجواره .. وسرعان ما توارى وسط الأخاديد المظلمة ..

هتف (بيلى) وهو يثب خارج الأخدود :

ـ « فلتفر يا سيدى .. لقد هرب .. يبدو أنه كان مذعورًا أكثر منا !! »

www.liilas.com/vb3

قال القس شيئاً .. وأشار لعنقه ..

نظر (بيلى) إلى الرجل .. وبرغم ضوء القمر الذى يجعل كل شىء مزرقاً فإنه أدرك أن القس أزرق اللون .. كان يشير لعنقه وقد بدا عليه ذعر لا يصدق .. لسانه يبرز من فمه .. وعيناه تسعتا خلف زجاج النظارة .. ثم هوى على الأرض .. .

كان هناك ثقب صغير فى عنقه ..

وأدرك (بيلى) أن الأمر انتهى ..

فتنهى بسرعة البرق ..

★ ★ ★

(إيلانور رجبى) ماتت فى الكنيسة ودفنت ومعها دفن اسمها ..

الأب (ماكنزى) ينفض الغبار عن يديه وهو يغادر قبرها ..

فلم يهتم لخلاص أحد . .

★ ★ ★

قال (رتشاردسون) لزوجته :

ـ « أريد تفسيراً .. »

كانت الآن تقف أمام باب الدار فى ضوء المصباح .. مبعثرة الشعر وثمة هالات سود تحت عينيها .. كان آخر وجه تتمنى أن تقابله هو وجه زوجها بالذات .. واضح أنه لم يبتلع المخدر ولم يبتلع الحبلة ..

دخلت من دون أن تنطق فمشى وراءها واستوقفها فى عصبية :

ـ « أين كنت ؟ »

ـ « هذا شأنى الخاص .. »

ـ « ليست هذه هى الإجابة الصحيحة .. »

لكنها اتجهت إلى غرفة النوم لتبدل ثيابها وأغلقت الباب فى وجهه .. دق بعنف أكثر وهتف :

ـ « أنت لا تتكلمين .. »

ـ « لأنى لا أسمع الكلام الصاخب .. »

www.liilas.com/vb3

- « نحن لا نتحدث عن محاولة دكتاتورية للسيطرة على حياتك .. نحن نتحدث عن تخدير كل ليلة .. يمكن أن أثبت هذا بتحليل الدم .. هذه تهمة فيدرالية وليست مجرد خلاف فى وجهات النظر بين زوجين .. »

مع صوت خفيف الثياب جاء صوتها من وراء الباب يقول فى عصبية :

- « إن الطلاق غير تسوية .. »

« لماذا يحدث ؟ ولماذ مثلى ترد بهذه الحدة ، ولماذ مثلى تطلب الطلاق ؟ هناك أخر بلا شك .. ذهبت من أجلها ثم تلقى الباب فى وجهه فقط ..

فى جنون مد يده ليدير المقبض .. ثم دفع الباب بكتفه ليدخل .. وفى نيته أن يبدأ النقاش بأن يوسعها ضربًا .. بعد هذا يمكن التكلم بنوع من العقلانية ..

تفتح الباب ..

فصرخت وتراجعت للوراء ..

لكن صرختها كانت أعلى لأن ما رآه كان مخيفًا ..

* * *

العجوز (سكروج) يجلس فى الخلاء كعادته الليلية ..

كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد .. كانى ديد ..

ثرثارة جدًا هذه الحشرات .. لا تكف عن الهمهمة بخصوص فى هذه السن ..

كنت أنا واقفًا أرمق كل شىء من عل .. تلك النافذة التى فى نهاية الممر والتى صارت مكانى المفضل .. بعد قليل أنام لكن من يضمن لى ألا تزورنى بقية الليلة ثانية ؟ الفكرة ذاتها تفعمنى رعبًا ..

أسمع الحوار خافتًا من بعيد ..

الفتاة التى يدعونها (بانى) وأصر على أن أدعوها (باتريشيا) تمشى فى تؤدة .. لقد أغلقت المتجر ويبدو أنها ستعود لدارها .. تتجه نحوه وتناوله المفتاح ..

عندما تحتاج المحطة إلى عمل ليلى فإن المكسيكى ينزل ليساعد ..

www.liilas.com/vb3

أسمع عبارات من بعيد تحملها الريح إلى أذنى :

ـ « لم أتقاض أجرى هذا الأسبوع .. »

ـ « لا يوجد مال .. إن الأحوال سيئة .. دعك من هذه الفتاة التى مائت .. سوف تتحدر الأصال إلى الحضيض .. »

قالت فى تحد :

ـ « لكن هناك الغرباء المقيمين فى الفندق .. دعك من أن عدد السيارات كان هائلاً هذا الأسبوع .. لقد باع المتجر بعض الحلى كذلك .. »

البدين لم يبدل من جلسته .. فقط قال دون أن ينظر لها :

ـ « ليتك تعرفين أى ثقوب تسدها هذه النقود فى الحفرة الهائلة التى نجلس عليها .. ثم إن الغرباء هنا لمصلحتك أنت ! »

فى عصبية وتنمر هتفت :

ـ « ماذا تعنى ؟ »

قال بلهجة واضحة :

ـ « هذا الأشقر الوسيم القادم من (فلوريدا) وعالم الحشرات .. هل تحسبين أننى غافل عنك ؟ أنت تتمعين بوقتك ثم تطالبين بالأجر ! »

لا أعرف تعبيرات وجهها لكن لا بد أنها مخيفة .. فقط سمعتها تقول :

ـ « لو سمعتك تتكلم بهذه اللهجة ثانية فلسوف تختصر الساعات الباقية من عمرك ! »

لا بد أنه شعر ببعض الفزع .. لأن لهجته صارت أهدأ :

ـ « ليس معى مال .. يجب أن تفهمى هذا .. »

ـ « وماذا ستفعل بكل ما تكتزه ؟ إنه لن يذهب معك إلى القبر .. »

ـ « ربما أفكر فى شىء كهذا كما كان الفراعنة يفعلون .. والآن أرجو أن ترحلى لأن وجودك يفسد تأملى .. »

نظرت له طويلاً .. أعتقد أنها فعلت هذا .. ثم عادت إلى الموتيل بخطوات ثابتة ..

هذه فتاة خطرة لكن لا أعتقد أنها من الطراز الذى يقتل .. إن القتل عند الانفعال يحتاج إلى شخص حار

www.liilas.com/vb3

الدماء .. بالنسبة لـ (هارى) أوشك أن أرى صورته فى صفحة الحوادث فى أية جريدة وهو يضع لافتة الرقم على صدره ، لكن هذه لا .. سوف تنصب مكيدة باردة قاسية ..

لماذا لا تعطيها حقها يا أنثى ؟؟ ماذا ستفعل بكل هذا المال ؟ عندما تشيخ فلا ترى الجمال ولا تسمعه ولا تلمسه ولا تمشى فيه فما جدوى المال ؟

أغلقت النافذة وعدت إلى غرفتى .. تأكدت من أن النوافذ مغلقة .. لا أعرف حقيقة لهذه الليلات هذه لماذا أرجح فيها ضخمة

جلست لكتب خطابا من تلك الخطابات حكيت فيه ما حدث .. ثم اتجهت إلى حوض الحمام وأحرقته حرقا .. وظلت أرمق الدخان حتى تبدد الرائحة .. متى تظهرين لأرحل من هنا ؟

مددت يدى تحت الوسادة فوجدت خطابا من تلك الخطابات التى أتلفها بانتظام :

« ادخل المنجم ! »

كلمة واحدة لا أعرف لم تشير .. لماذا أدخل المنجم ؟

كنت أفكر فى هذا عندما غصت تحت الغطاء وغبت فى نعاس عميق ..

★ ★ ★

فقط لأسمع الصراخ فى الثالثة صباحا ..

كان قادما من الطابق السفلى ..

خرجت فلم أجد أحدا فى الممر .. نزلت إلى الطابق الأسفل حيث الكافتريا / الصالة / الحانة .. فوجدت هناك زحاما يوحى بكارثة ..

(شوارتز) هناك والمأمور و(هارى) و(باتريشيا) والموظف المكسيكى الصموت .. كانوا هناك يتكلمون جميعا بصوت عال .. وفى الوسط رأيت تلك الفتاة النحيل ذا العينات والتمش ..

للمرة الأولى كان هذا الفتى مع (بيلى) ..

ـ « أنا متأكد ! لقد تركته هناك ! »

وسمعت كلمة الفتى عدة مرات ..

كان دورى فى الموضوع هو أن أخبرهم أن الفتى يوشك على الإصابة بانهيار عصبى ، فيصيروا عليه بعض الوقت ..

www.liilas.com/vb3

أمثلت هذا الحماس مع المصابين بهزة عصبية كأنهم يعتدون مؤتمرًا صحفيًا .. حتى توقعت أن يقول القتى : لا تعليق .. لا مزيد من الأسئلة من فضلكم ...

فليجلس أولاً ثم يتكلم .. صمت لغرقتى وبحثت عن بعض الأقراص المهدئة ثم عدت له وطلبت منه أن يبتلعها ..

كان يحكى قصة عجيبة عن القس الذى هاجمه شخص ما فقتله .. يبدو أن هذا حدث فى منطقة يطلقون عليها (مخالب الشيطان) .. من هنا سمعت القصة كلها من وجهة نظر (بيلى) ..

إن هذه القصة جزء آخر من مسلسل الرعب الذى يجتاح هذه البلدة والذى لا يوجد منطق واحد يفسره ..

لكننا فهمنا عدة أشياء :

أولاً : القس كان يعرف أكثر منا جميعًا .. لقد سبق القتى بخطوة ..

ثانيًا : الشىء الشرير الذى يحدث يبدأ من تجمع هؤلاء الأشخاص غريبى الأطوار قرب المنجم ..

قال المأمور وهو يتحسس مسدسه :

ـ « الأمر واضح .. سوف أذهب إلى هناك وأنسف هؤلاء الأوغاد .. لقد أعيانى البحث عن مكان تجمعهم .. لكن يبدو أننى آخر من يعلم .. إن لى سبعة عشر عامًا كمأمور لكننى آخر من يعلم .. »

قال (شوارتز) وهو يدس يديه فى جيبه :

ـ « تريد رأيى ؟ إن هؤلاء الرجال من (فيلكس) قادمون هذا .. أنت تحتاج لتعزيزات لأن المشكلة أكبر مما تتصوره .. عليك الليلة أن تحاول استرداد جثة القس .. لا تحاول التورط فيما هو أكثر .. »

لسان العقل يتكلم .. فليصمت الجهلاء .. ويجب أن أعترف أننا كنا جميعًا ننهاه باستثناء (شوارتز) .. ..

بدا على المأمور أنه اقتنع .. هذه ضربة لا شك فيها لكبريائه أن يقتنع برأى أحد لكن يبدو أنه لا مناص من ذلك ..

نهض وأشار لمساعده كى يلحق به .. ثم نظر إلى القتى .. فرفعت يدى منذرًا .. لا .. لن أسمح له بصعقتى الطبيب الوحيد هنا .. لن يأخذه معه للبحث عن جثة القس ..

هكذا قرر أن يصدع بالأمر واتجه إلى الباب ..

www.liilas.com/vb3

وبعد قليل سمعنا السيارة تبتعد ..

قلت للفتاة (بلاريشيا) :

ـ « من الواضح أن صاحب الموتيل لا يتدخل كثيرًا .. »

ضحكت تلك الضحكة المشرقة المفاجئة التى تنزل خلال ثانية ، وقالت :

ـ « آه .. نعم .. ها ها .. إنه مسن جدًا ويترك لى كل شىء ما عدا العمل .. »

وتذكرت الموقف الذى كنا فيه منذ ساعتين تقريبًا ..

وتذكرت العجوز جالسًا وحده يصغى لما قالته (كاتى) ..

لا أعرف لماذا قررت أن أخرج إلى الخلاء .. مشيت ببطء ومعى مشى (هارى) .. ومن بعيد نرى ضوء سيارة المأمور إذ تبتعد فى الطريق ..

لا صوت إلا صوت القطاط الذى يعتبر نفسه ترمومترًا يخبرك بدرجة الحرارة .. مع الـ (يونج يقج) والرائحة الكريهة التى تعاودك كلما خرجت ..

هنا جوار مضخة البترول كان يجلس العجوز .. لكنى أرى الآن أن مقعده مقلوب ..

دنوت أكثر .. وعلى ضوء القمر استطعت أن أرى تلك العلامات ..

آثار جر واضحة على التراب .. جر .. ومقاومة .. ثمة جسم ثقيل لا شك فى هذا .. والآثار تتجه بعيدًا للتعبير الطريق وهكذا اختفت تمامًا ..

على الأرض علبة كولا سقطت من يد حاملها وهى مليئة إلى محتواها المنسكب على الأرض ..

نظرت لـ (هارى) فنظر لى نظرة غامضة ..

ما معنى هذا ؟

* * *

www.liilas.com/vb3

-7-

هذا هو الجزء الممتع فى الموضوع ..

كأن هذه الأشياء تروق للمأمور بلا شك .. البحث على ضوء الكشاف فى منطقة الأخاديد .. يبدو له هذا عمل شرطة فعلاً .. كان مساعده الأبله قد ذهب لمكان آخر .. والمأمور يضع يده على مقبض مسدسه ويمسح الحفر المتجاورة بالكشاف ..

سبعة عشر عاماً من الخبرة .. لا شك فى هذا .. هذه الأعوام لها مقابل .. إنه يعرف ما يفعله .. لا يحتاج لهؤلاء الأوغاد من (فرانكس) .. أولئك المرافيين الذين اعتادوا الجلوس على مؤخراتهم السمينة فى الغرف المكيفة .. يموتون بالكوليسترول والسمنة .. لكن إلى أن يموتوا يتسلون على واحد مثله .. شرطى ريفى فى بلدة على حدود المكسيك .. لا بد أنه حمار أو أحمق ..

كان ينهث الآن من الجهد .. والعرق يبلل حاجبيه ..

لسعة الزنبور ؟ ذلك العالم قال إنهم يعرفون لسعة الزنبور .. بعض الآباء يفعلون هذا .. هو يعرف أفضل من أى واحد آخر لأنه فعلها مع ابنه مراراً .. ذات مرة دس لزوجته سحلية حية فى قميصها وراح يضحك بينما هى

تتلوى وتصرخ .. إنه يعرف أفضل الطرق للفرض إرادته .. بعض الرجال يلوم أسرته .. البعض يضرب .. لكنه يعرف أفضل الطرق للسيطرة ..

تقول امرأته إنه سادى مريض .. ربما .. كان يسمع أن رجال الشرطة الطيبين فى عملهم يكونون وديعين كالحملان فى بيوتهم .. لكنه استثناء .. لقد اعتاد أن يحمل الخوف معه للبيت .. فإذا لم يجد ما يكفيه فى العمل بحث عنه بين أفراد أسرته ..

لماذا لا يحق له بعض الخوف ؟ القليل منه ليحتفظ بسلامه النفسى ؟ مهنة كهذه وراتب جدير بالاحترام .. والعمر بعضى بلا أمل فى الأفق .. فلماذا يلومونه على بعض الخوف الصحى ؟

أخيراً يرى هذه الأشياء ..

إن الفتى الأحمق لم يكن أحمق ..

بالفعل هذه بيوت من الورق المقوى .. تبدو كمسدسات تم إلصاقها ببعضها .. من فعل هذا ولأى غرض؟

يواصل البحث .. لا بد أن جثة الفتى قريبة جداً .. سوف يجدها ..

www.liilas.com/vb3

الحنى أكثر ليتفحص أحد الأخاديد عن كثب ..

ولا يدرى ما حدث .. ولا كيف شعر بتلك الوخزة القوية تخترق فخذه ..

تطلق سبة وركع على ركبته .. هناك من يقف بجواره الآن ..

مد يده ليمسك بالمسدس .. سبعة عشر عامًا من الخبرة .. تلك وحدها يده تهتز .. ذلك التململ الغريب يسرى فيها الدمية .. إنه عاجز بالكامل عن تحريك أى طرف .. إنه ..

وبدأ اللعاب يسيل من فمه الذى عجز عن غلقه ..

لقد وقع واع .. أنا واع .. لم أفقد وعيى .. أنا واع ..

★ ★ ★

وقفنا مذهولين ننظر إلى تلك المساحة الشاسعة الممتدة أمامنا ..

لقد قادتنا محاولتنا لاقتفاء الأثر إلى عمق الطريق .. وهناك وسط الجبال وجدنا آثار الجر من جديد .. كان اقتفاؤها عسيرًا فى الظلام لكننا استخدمنا الكشافات ..

طبعًا تركنا (باتريشيا) والفتى (بيلى) فى الموتيل .. كنا لا أثق بها وأعتقد أنها مسئولة عن اختفاء العجوز . آخر مرة شوهد فيها كانت تتشاجر معه ..

« إنها باردة جدًا تعطيك الانطباع بأنها قد تجز رقبتك بالمقص لو دفع لها أحدهم ربع دولار .. »

كنا الآن نوالى وجهنا شطر الحدود المكسيكية .. سلسلة الجبال الوعرة سوف تبدأ بعد عدة أميال . لكننا الآن نرى منخفضًا غير عميق تسلط الكشافات عليه فنرى ..

نرى تلك المسدسات الشمعية العملاقة المتراصة ..

خلايا نحل .. لا شك فى هذا ..

ونظرت للوراء إلى (شوارتز) فنظر لى بذات النظرة ..

(بالتبع بالتبع) ..

صوت الذى يتعالى ..

الرائحة الكريهة تتزايد ..

www.liilas.com/vb3

كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد ..

(كاتى) فعلت ماذا ؟ يبدو أن حرارة الجو تؤدى عمل الرقابة من جديد ..

شمع .. شمع .. شمع ..

وفجأة بدأ الفهم ..

(شوارتز) هو الآخر فهم ..

★ ★ ★

لا يذكر السلسور إلا أنه كان غارقًا فى الماء .. ثمة بركة ماء سقط فيها ..

عاجزًا عن الحركة لكنه مذعور .. لا يستطيع الكلام أو الصراخ ..

هناك شىء قوى ينتزعه من الماء .. يجره بعيدًا بلا رفق إلى الخارج ، ثم يشعر بأنه ينحدر من فوق مرتفع .. يسقط كأنما هو صخرة ألقيت من أعلى .. إنه الآن راقد فى قاع أخدود عميق .. يرى السماء بنجومها من فوقه .. منذ متى كان القمر بهذا السطوع ؟

ثمة شىء يسقط فوق صدره .

شىء يشبه البيضة .. لكنها لينة ..

ما هذا ؟

هنا بدأ يرى ذلك الشىء الصلاى ـ فى وضع السلويت لأنه كان عكس ضوء القمر ـ يتقدم نحوه نازلا الأخدود .. الآن يفهم ..

لكن الفهم جاء متأخرا جدًا ..

★ ★ ★

قال لى (شوارتز) وهو يرتجف ، محاولاً التصويب على هدفه المتوحش فى قمه :

ـ « القصة واضحة يا د. (إسماعيل) .. »

ـ « بدأت أرى هذا معك .. »

قال (هارى) فى غيظ :

ـ « أنتما عبقريان .. فهل يوجد مكان لبطيئى الفهم مثلى ؟ »

قال (شوارتز) وهو ينظر إلى البلدة الغافية فى الظلام :

ـ « سكان هذه البلدة يتحولون إلى حشرات ! »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

الجزء الثالث

الكينونة

١ ـ لا تثق فى أية أصوات غريبة تسمعها ليلاً .. لا تفترض أنها طبيعية ..

٢ ـ مقولة (يحدث للآخرين فقط) فقدت معهدها .. ربما كان من الأفضل أن تكون مقولة (يحدث لى دون سواى) ..

٣ ـ لا تثق فى الصداقات القديمة أكثر من اللازم .

٤ ـ لا تقع فى حب جديد ..

٥ ـ الرائحة الكريهة موجودة هناك لسبب مهم .. لا تنس هذا ..

٦ ـ لا تثق فى زوجة يموت زوجها ليلة الزفاف ..

٧ ـ عداوتك القديمة قد تطفو على السطح .. تذكر أين أنت ومن أنت ..

-1-

يقول (شوارتز) :

ـ « لا تنتظر للحشرات بتعال أبداً .. يرى العلماء أنها وجدت على الأرض منذ ٢٥٠ مليون سنة .. هناك ٧٠٠ ألف نوع منها حتى اليوم .. ويعتقد العلماء أن أنواعها ستبلغ عشرة ملايين فقط لو تقدمت طرقنا فى البحث أكثر .. لقد وجدوا الصراصير داخل المفاعلات النووية وفى القطب الشمالى وداخل الصمامات الإلكترونية .. هذه الكائنات قوية جداً وقد جاءت لتبقى .. »

★ ★ ★

يقول (شوارتز) :

ـ « لا تنتظر للحشرات بتعال أبداً .. إنها كائنات معدة بدقة إلهية مذهلة لحياة شديدة القسوة .. ويبدو أنها ستعيش بعد أن يفنينا وباء أو حرب نووية .. لقد جابت الديناصورات الأرض بضخامتها المروعة ثم اندثرت .. وجاءت الثدييات .. لكن الحشرات ظلت كما هى .. بارعة جداً .. خارقة القوة .. متكيفة بشكل مذهل لبيئاتها .. »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

قال (هارى) فى عصبية وهو يبدو موشكًا على تحطيم رءوسنا لسبب لا أعرفه :

ـ « أنتما مجنونان تمامًا .. عندما يحدث قتل عليك أن تبحث عن قتل .. لا أن تعطى آلاف التفسيرات الطفولية .. رجلان ناضجان مثلكما ! »

بدا كأحد أبطال أفلام الخمسينيات أكثر من أى وقت آخر .. الشعر الأشقر والذقن المشقوقة والصدر العريض والانفعال الزائد .. لكن الوضع فريد هنا .. بطل الفيلم لا يفهم شيئًا ..

نظرت إلى الوراء لأتأكد من أن الفتى و(بتريشيا) لم يختفيا أثرنا .. أنا لا أثق فى الفتاة .. بل لا أثق فى أحد على الإطلاق .. لكنى على الأقل أرجح أن هذين الذين يقفان معى مضمونان لفترة أخرى ..

لم أر ورائى إلا الليل .. الطريق السريع الخالى .. أضواء محطة البنزين الخافتة .. تلك الحشرات المضيئة ..

قال (شوارتز) وهو يلهث انفعالا :

ـ « لو فكرت فى الأمر بهدوء لتعجب للهمت .. لا أعنى أنهم صاروا حشرات كاملة لكنهم بالتأكيد قطعوا شوطًا لا بأس به .. بيوت من شمع وبيوت من ورق .. ماذا عن تلك الرائحة الكريهة المسيطرة على البلدة ؟ الآن أتذكر مصدرها .. هناك بق يصدر رائحة مماثلة لحماية نفسه .. ماذا عن نظافة الحقل الذى لا يهمد طيلة الليل ؟ وماذا عن مثل الأضواء التى نراها فى الأفق ؟ حملات المشاعل أو الذباب المضيء .. »

قال لنا بدوره :

ـ « ولكنك الطيور المعدنية .. أعتقد أن نوعًا من الخفافيش يحدث هذا الصوت .. »

تدخل (شوارتز) مصححًا :

ـ « بق .. بق (السيكادا) .. يطلقون عليه اسم (قارع الطبول) لأنه يحرك ذلك الغشاء المستدير تحت أجنحته ليحدث ذلك الصوت المعدنى .. هناك ولايات فى الجنوب تضطر لإغلاق المدارس فى مواسم معينة بسبب ارتفاع صوت هذه الدقات .. »

www.liilas.com/vb3

تدخل (هارى) قائلا :

ـ « هل ترى ؟ نحن فى الجنوب فعلاً .. هل هناك ما هو جنوبى أكثر من (أريزونا) ؟ ما نتحدث عنه هو القاهرة ولابد تعج بالحشرات .. لا يجب أن يدهشنا هذا .. هناك مواشع فى إفريقيا جعلها النمل محرمة على البشر لكن هذا لا يعنى أن الناس يتحولون لنمل ! »

قلت وأنا أتحسس شعرى :

ـ « يوم الثلاثاء الذى يتساقط فيلاً ... »

عاد (هارى) يقول فى إصرار :

ـ « هذا لا يدل على شىء .. الحشرات تلدغ فى كل حين .. »

قال (شوارتز) وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ « وماذا عن الجثث التى يتعرض أصحابها للتشويه وهم أحياء .. وماذا عن أسباب الوفاة ؟ وماذا عن الجثة التى تم امتصاص الدم من عنقها ؟ »

ـ « حقاً ؟ ماذا عنها ؟ »

ضحك ونظر لى ثم أردف :

ـ « لابد أن يفعل ذلك .. تخيل بعوضة بحجمك .. هناك الفيل والديناصور أيضاً .. »

ـ « ليس لديك دليل على أى شىء من هذا الهراء .. »

ـ « سأعطيك الدليل .. الجثة التى تم التهام الرأس والعنق فيها .. نحن لم نر أسلوب قتل بهذه الشناعة من قبل .. إنها جثة ذكر .. هذا الفتى (هارلسون) كان فى الماء حاملاً مع فتاة لطيفة .. هذا هو ما أرجحه .. والآن وسط الظلماء نرى الفتاة الرقيقة رأسها تلتهم رأس الفتى Praying Mantis تلك الحشرة المفترسة التى حسب الناس أنها تقف على قائمتيها الخلفيتين وتضم كفيها لأنها تصلى .. أنثى هذا النوع تلتهم الذكر بعد التزاوج .. أولاً تنتزع غدة معينة مسئولة عن الشعور بالألم . هكذا يمضى الجنس إلى مصيره بلا ندم .. ثم تواصل التهامه بدءاً برأس على سبيل التغذية .. هذه الحشرة تلتهم كل ما يتحرك أمامها .. فى بعض بلدان الشرق الأقصى يربطونها بخيط كالفراش كما يلعبون مع الكلاب . تتحمى الناس من هجوم أية حشرة أثناء النوم ! إن هذا الجزء قد يفسر لنا مقتل الطيور والقطط .. »

www.liilas.com/vb3

وتأمل وجه (هارى) المذعور وأردف فى استمتاع :

ـ « إنها الحشرة الوحيدة القادرة على أن تبصر ما وراء كتلها .. وأن تمسح وجهها بيديها كالقط .. وتأكل من يدك كالكلب .. وتشرب الماء كالخيول ! »

ارتجفت الفكرة .. ثمة شىء رهيب فى هذا ..

قلت أنا مفكرًا :

ـ « وتلك الفتاة الرقيقة التى جاءت تبحث عن عريس .. قلت إنها موجودة اليوم فقط .. ثم تدخل الكاميرا لتتجسس جوار الجبر ضوء فيها .. اسمها (مارى) .. الآن فكر فى شىء ما .. » :

قال (شوارتز) :

ـ « اسمها (مايو) .. ذبابة (مايو) .. الذبابة التى لا تعيش أكثر من يوم واحد من شهر مايو .. تبحث عن الأضواء ثم تتزاوج .. وعندما يأتى المساء تموت فى صمت .. يوم واحد فقط هو كل حياتها .. لم يستطع أحد أن يفهم هذا .. وقد هلكت الفتاة أمام عيوننا بعدما انتهت حياتها هباء .. التشريح لن يجد أى شىء يمت للسموم فى

دمها .. لن يجدوا سببًا للوفاة فقط ماتت لأن أجلها انتهى .. من أين جاءت ؟ لن نعرف أبدًا .. »

هنا صاح (هارى) بانتصار :

ـ « نحن فى الخريف يا عزيزى .. هذا يهدم فرضيتك بالكامل »

ـ « لا تنس أننا فى الصيف الهندى .. وهو جو حار مخادع يأتى أحيانًا فى نهاية الخريف .. لقد رأينا بيض دود الأرز يفقس فى هذا الجو برغم أنه لا يفقس إلا ربيعًا .. أنا أعرف من خبرتى أن بعض ذباب مايو يظهر فى هذا الوقت »

ثم تذكر شيئًا فأضاف :

ـ « ثمة شىء لاحظته مع تلك الفتاة .. يبدو أنها سمة عامة فى نساء البلدة هذه الأيام .. أنهن جذابات جدًا .. إن لهن رائحة عطرية قوية .. الرجال يتصرفون معهن ببلاهة فسألهم تلاميذ مراهقون .. ألا يذكرنا هذا بالفيرمونات pheromone ؟ إناث الحشرات تفرز هذه الرائحة التى تجذب الذكور .. ولكم من مصيدة أعدها العلماء للذكور عشرة معينة عن طريق إطلاق هذه الرائحة .. فى إفريقيا تعد هذه من وسائل مكافحة ذبابة (تسى تسى) المعروفة »

www.liilas.com/vb3

هنا فقط فهمت .. تلك الانجذاب المفاجئ الذى شعرت به نحو الفتاة (مارى) عندما دخلت الكافيتريا .. لم أكن أبله .. كنت تحت تأثير كيميائى شديد الكفاءة .. ثمة حقيقتان هنا : الحقيقة الأولى هى أنك يجب أن تقترب من عالم الحشرات أكثر لتفهم دقة وإعجاز الخلق ، وبلاهة من يحسبون هذا تم بالصدفة .. الحقيقة الثانية هى إننا فى مأزق بالغ التعقيد .. هذا العالم الغريب ينهال فوق رءوسنا ..

وألقى بقنبلة الفاكهة التى نظر إلى الصحراء الخالية حيث ينتشر الظلام بانتشاوى مع صياح (الساجوارو) المخيف .. تشعر بأن جيشا كاملا من الكائنات يقترب منك فى الظلام ..

ثم نظر لـ (هارى) وقال باسمًا فى خبث :

ـ « أنت كنت أقرب ما يكون لتجربة من طراز آخر لكن لها طابعًا حشريًا واضحًا .. هل تتذكر ؟ »

قال (هارى) :

ـ « أنا ؟ بالطبع لا .. »

ـ « فى الحجز الذى قضيت فيه ليلتك .. رأيت ذلك الفتى النحيل الذى يشبه تمامًا الفراش الذى ينام عليه .. وأخاه

الذى بدا لك ميتًا إلى حد لا يصدق .. هذه أساليب (العصى الرحالة) التى تهوى التظاهر بالموت أو تتظاهر بأنها عصا لا يمكن أن تميزها عما حولها .. مجرد طريقة تمام وبنية معروفة

كان يشعر بإثارة بالغة .. صحيح أن هذا يضى كارثة لا قبل لنا بها ، لكنه كان مصممًا على الاستمتاع باللحظة الحالية حتى إن كانت الأخيرة .

تدخلت بدورى فى الحديث شاعرًا بأن الحقائق كلها تتداعى كاشفة عن وجهها الحقيقى :

ـ « البيوت الورقية التى حكى لنا عنها (بيتى) حيث قابل القس .. لا أعرف إن كنت ترى رأيى لكن هذا يذكرنى بالزنابير ! »

هز (شوارتز) رأسه موافقًا :

ـ « الزنابير الاجتماعية .. نعم .. بالمناسبة : من هو مخترع الورق ؟ »

كان (هارى) قد تعود هذه الأسئلة .. الأسئلة التى لا بد أن إجابتها غير ما تتوقع .. عندما يسألك أحدهم هل الطين

www.liilas.com/vb3

أقلل لم الطنان تشعر بتردد وتتوجس من خدعة ما .. لا بد أن الطن أقل .. لذا قال فى شوق :

ـ « لا تقل لى إنها الزنابير .. »

ـ « هذا صحيح .. القصة الصينية تقول إن مخترع الورق (تساى لون Ts'ai Lun) استلهم اختراعه من الدبور أصفر الرأس الذى يمضغ الخشب ليصنع منه عجينة .. هذه العجينة يشكل منها بيوتًا من ورق تشبه بيوت النحل لكنها أقل دقة .. هذا يفسر لك المشهد المخيف الذى كان آخر ما رآه القس .. (توم لين) تحول إلى دبور آدمى يمضغ الخشب ويصنع منه الورق .. يعطى هذه البيوت يبلغ درجة مذهلة من الإتقان .. ثمة نوع يدعى (غلبون الهوانتدى) يبلغ حجمه قياسات مخيفة .. »

ـ « وهذا الدبور الآدمى القض على القس ؟ »

ـ « كيف مات القس ؟ مات وهو يتحسس عنقه .. لقد تورمت حنجرته وانسدت .. الدبور لا يستقر قبل أن يلدغ كما تفعل النحلة ، لكنه يمزق جوارك بسرعة البرق ويسدد لك لدغة محكمة بزيته .. لهذا لم يره القس ولا القس (توم لين) يفعل شيئًا .. يشبه الأمر قلافة صاروخية تمر

بجوارك وبعد أن تبتعد فى الأفق تكتشف أنك تنزف وأن صاروخًا أصابك بإحكام .. »

هنا قررت أن أسأل بدورى :

ـ « ما معنى جر جسد العجوز (سكروج) ؟ »

قال (شوارتز) :

ـ « لا تعرف ما الذى جره .. لكن هذا سلوك شائع لدى الحشرات .. لابد أنها أخذته إلى عشها لتأكله على مهل .. »

ارتجف (هنرى) وارتجفت الفكرة .. لو كان هذا قد حدث فإنه من المحزن أن تتذكر العجوز جالسًا فى الليل يصغى لما فعلته (كاتى) ويقول : « فى سنى هذه يصعب أن تجد صديقًا غير المال يا صبى .. إنه لا يكذب عليك ولا يسرقك ولا يتخلى عنك .. ولولا المال الذى أملكه لألقونى فى الصحراء لكلاب البرية .. »

سألت سؤالا آخر :

ـ « رأينا كل شىء ممكن .. لكن ماذا عن العناكب ؟ سوف يكون من المخيف أن تكون هناك عناكب بشرية لكن لماذا لم نلق أحدها حتى الآن ؟ »

www.liilas.com/vb3

ابتسم (شوارتز) وقال فى غموض :

ـ « هل تعرف السبب ؟ يدهشنى أن يقع طبيب فى الخطأ الشائع ذاته .. »

ـ « أى خطأ ؟ »

ـ « الخنافس ليست حشرات .. الخنافس ذات ثمانى أرجل .. بينما لا تكون الحشرة حشرة إلا إذا كان لها ست أرجل .. والقسم جسدها يوضوح إلى صدر وبطن ورأس .. واضح أن الأمر الذى يحدث هنا يتعلق بالحشرات ولا شىء سواها »

مشينا فى ظلام الليل على غير هدى عاجزين عن العودة إلى المونتيل .. غير راغبين فيه .. كنا راغبين فى الفرار .. فلماذا لا نفعل هذا الآن ؟

قال (هارى) وقد بدأ يستمتع هذا الكلام العجيب !

ـ « لكن .. لا توجد تحولات مظهرية واضحة .. هل تعتقد أن هذا الدبور البشرى كان يطير وله زوجان بثمانى من مؤخرته ؟ »

ـ « نحن لم نره يوضوح .. لكننى على الأقل رأيت الفتاة (مارى) .. بالتأكيد لم تكن تشبه الفراشة .. إما أن التحول جزئى وإما أن هذه مرحلة أولى وسوف يكتمل الأمر قريبا .. »

قلت فى قلق :

ـ « هل تعتقد أنه من الممكن أن نرى أمامنا هؤلاء الرجال ـ الزنابير يحلقون فى الهواء ؟ »

ـ « أنا لا أعتقد أى شىء .. ما يحدث هنا غير مسبوق .. نحن نتعلم بالطريقة الصعبة .. تتعلم أثناء وقوع الأحداث لا قبلها .. لو رأيت رجالا زنابير يطيرون ويقاتلون فمعنى هذا أن هناك رجالا زنابير يطيرون ويقاتلون .. لا توجد طريقة أخرى »

ونظرنا إلى السماء المظلمة التى تليدت بالغيوم ..

وشعرنا بهياج .. يمكن بسهولة أن نتصور الآن أن تمتلئ هذه السماء بالزنابير الآدمية .. يبدو عسير التصديق لكن أى شىء يمكن تصديقه فى هذا الذى يحدث ؟

إن الفجر داهم .. بالفعل تحمل الساعات التالية احتمالات كابوسية ..

www.liilas.com/vb3

هنا قال (هارى) أهم سؤال فى الأمسية كلها :

ـ « عرفنا ما يحدث لكن لماذا يحدث ؟ ما تفسيره ؟ »

نعم .. السؤال الأول دائمًا يكون ماذا؟ السؤال الثانى هو كيف ؟ السؤال الثالث هو لماذا ؟

* * *

-2-

دخلنا بيت القس عندما أشرقت الشمس ..

لم يعد المأمور حتى الصباح ولم يعرف أحد عنه شيئًا ، لكنى استبعدت أن يموت .. هو أذكى من ذلك .. دعك من أنه ظل مأمورًا سبعة عشر عامًا ..

لقد حكى لى (بيلى) والفتاة الكثير عن المأمور وسلبياته التى امتلأت لكل شىء حتى أسرته .. لا أعرف ما حدث له ، لكنى بشكل ما أشعر بأنه يستحقه ..

كان (شوارتز) هو الذى اقترح أن ندخل بيت القس .. وأن نفعل هذا بأنفسنا .. إن المأمور لن يسمح بذلك طبعًا بسبب موقعه الرسمى ، ولما كان القس غالبًا يعرف كل شىء فإن بيته قد يحوى دليلاً ما ..

قال (شوارتز) وهو يدور حول البيت المغلق :

ـ « أنا أحلم بمذكرات .. هذا عصير لأن الفلاوسة لا يكتبون ما يسمعون من اعترافات ، لكنى آمل فى أن يكون ما سمعه مخيفًا .. مخيفًا إلى الحد الذى دفعه ليدونه »

www.liilas.com/vb3

كان الاحتمال واهيًا لكننا قررنا أن نستكشف على كل حال ..

لم تكن تعرف البيت فتطوع (بيلى) بأن يرافقنا إلى هناك .. ومن الخارج بدا لنا المكان مهجورًا أكثر من اللازم .. الحديقة مهملة وإن كانت بها عدة أحواض لسقاء الطيور ، ويبدو أنه كان مولعًا بها حقًا ..

هناك بيت .. بالنسبة لى كمصرى يبدو أى بيت ذى حديقة فاخرًا ، لكن من الواضح أنه متواضع جدًا بالنسبة للمعايير الأمريكية ..

قال (بيلى) :

ـ « إنه يترك الباب الخلفى مفتوحًا .. كل الهندة تعرف أنه لا يملك شيئًا لذا هو لا يخاف السرقة .. »

وارتجف صوته .. لقد تذكره الآن .. لم يكن يميل له فى حياته لكن تجربة الليل جمعت بينهما بشكل ما ، ثم جاءت الوفاة المفاجئة .. الوفاة التى كان يمكن أن تكون من نصيبه لو أن الهجمة أصابته هو ..

فتح (هارى) الباب .. وبحذر دخل .. ومشينا وراءه فى البيت الذى مات صاحبه .. مات ولا تعرف هل نسترد جثته

أم لا .. فى أسوأ كوابيسه لم يتصور أن يموت بلدغة زنبور أدمى ..

راح كل منا يتفقد حجرة .. لا يوجد شىء سوى مجموعات كبيرة من الكتب .. ثمة نظارة مقربة كان يراقب بها الطيور .. هناك عشاء لم يتناوله ويبدو أنه قرر أن يبقيه إلى حين العودة من جولته الاستكشافية .. تفاصيل صغيرة تجعل فى حلقك غصة لو كنت تفهم ما أعنيه ..

فجأة صاح الفتى بلهجة منتصرة :

ـ « أنا فى غرفة النوم .. أعتقد أن هذا شىء .. »

وخرجنا إلى البهو لنجده ممسكًا بمفكرة صغيرة .. أمسك (شوارتز) بها باعتباره صار قائد مجموعتنا من دون انتداب .. قلب الصفحات من آخرها ثم توقف عند مقطع بعينه وتلاه بصوت عال :

ـ « سوف أذهب لأرى بنفسى ما قالته لى (كلاريسا) .. »

ما الذى قالته له (كلاريسا) ؟ ومن هى أصلاً ؟

قال (بيلى) وهو يصلح من وضع عويناته :

www.liilas.com/vb3

ـ « زوجة مدرس الهندسة .. امرأة بارعة الحسن مهذبة .. تعمل فى متجر .. »

قال (شوارتز) وهو يجوب بين الصفحات :

ـ « وقد جاءت تقدم له اعترافًا .. الاعتراف الوحيد الذى دونه القس .. لقد كانت على حق .. يبدو أنها الشخص الوحيد الذى قرر أن يتكلم فى الهند كلها .. »

ثم راح يقلب الصفحات وبدا عليه الاهتمام ..

قال بصوت عال مرتجف قليلاً :

ـ « هنا وصف للحفلات كما جاء على لسان المرأة .. هذا مفيد جدًا .. ثمة تفاصيل مريعة هنا لكن لا وقت لقراءة كل شىء .. ثم .. اسمعوا هذا الجزء : فى المرات التى كانت (كلاريسا) ترفع ذراعها فيها لينحسر الكم الطويل عنها ، كنت أدرك أن شيئًا ليس على ما يرام .. هناك شعيرات معقدة تحيط بالذراع .. أجزاء خشنة وأجزاء ملساء .. لو شئت الدقة لقلت إن هناك أمشاطًا تبرز من ذراعها ! »

رحنا نتصور المشهد فلم نفلح .. يكفى أنه مرعب ..

قال (شوارتز) :

ـ « كم تلهموا بعد ؟ أمشاط .. توجد حشرة تملك ترسانة كاملة للتجهيز حول أقدامها .. مسلات وفرشاة وقطاعات ورماح تخترق الشمع .. إنها النحلة ! شغالة النحل .. لا توجد صعوبة فى تصور ما انتهت إليه تلك المرأة .. »

وتبادلنا النظرات ..

قال (بولى) :

ـ « إن بيتها قريب من هنا .. هل تريدون أن نذهب هناك لنطمئن ؟ »

لم يكن هناك ما يمنع .. خاصة أننا وجدنا ضالتنا .. هذه المفكرة يجب أن تطالع بعناية ..

على أن (شوارتز) فتح الصفحة الأولى ثم غمغم :

ـ « القس دون هنا كلمات أغنية (إيفانور رجيس) .. أغنية البيتلز الشهيرة .. ما معنى هذا ؟ لماذا هذه الأغنية بالذات ؟ »

ظلت أنظر إلى جوانب المسكن المقفر ، والذى لن يعرف بعد اليوم إلا التراب والعناكب والظلام .. وفى سرى سمعت الأغنية القديمة تتردد :

www.liilas.com/vb3

- « (إليانور رجبى) ماتت فى الكنيسة ودفنت ومعها دفن اسمها ..

الأب (ماكنزى) ينفض الغبار عن يديه وهو يفارق قبرها ..

فلم يتم خلاص أحد ..

هؤلاء الناس الوحيدون .. من أين يأتون ؟ ولأين ينتمون ؟ »

★ ★ ★

دخلنا الباب عدة مرات فلم يرد أحد ..

شعرت بامتنان لعادة الأمريكيين فى عدم إغلاق الباب الخلفى ، فهى تسمح لك بالدخول فى أى وقت .. عامة لا أفهم كيف يشعرون بالأمان فى هذه البيوت المليئة بالثغرات لكن هذا ساعدنا على كل حال ، ودخلنا البيت ..

كان (بينى) يشعر برهبة لأنه يقتحم بيت معلمه .. الحق أنه كان من الطلبة القلائل المحترمين فى هذه البلدة كما فهمت .. لكن كل شىء يوشك على أن يتلاشى ..

- « مستر (رتشاردسون) ! »

لا أحد يرد .. وكور (هارى) قبضته متحفزًا .. فى أية لحظة يمكن أن تبرز لنا لحظة آدمية عصائية .. هذا هو ما يمكن فهمه من تلك المذكرات لو كانت دقيقة ، وهى كذلك .. لا شىء فيها يعارض ما قاله القس ولا ما رأيناه حتى اللحظة ..

- « مستر (رتشاردسون) ! »

بحثنا فى كل صوب .. فلم نبق إلا غرفة النوم ..

قال (شوارتز) وهو يناولنى سكينًا :

- « قبل هذه فى بيتك .. لقد أتيت بالثلاثين من المطبخ .. نحن لا نعرف ما قد نجده .. »

وفى حذر وجل مشينا نحو الغرفة الوحيدة التى لم نستكشفها بعد ..

وفجأة تصلبنا ..

قال (شوارتز) وهو يمشى بضع خطوات حذرة للأمام :

- « الأمر واضح .. لقد دخل عليها وقد نزعت الثياب التى كانت تخفى حقيقتها .. لا بد أنها حاولت منعه من الفرار »

www.liilas.com/vb3

على الأرض كان المستر (رتشاردسون) جثة هامدة .. وجهه مزرق تمامًا ونظرة هلع فى عينيه .. نصلب عام فى أطرافه .. وفى قلبه انغرس ذلك الزبان العملاق .. بحجم خرطوم الرى ..

لكن المثير فى الأمر هو تلك الجثة التى هى خليط غريب من امرأة ونحلة .. على بعد مترين من الجثة الأولى ، وقد اكتست بالشعر تمامًا .. الأطراف مغطاة بتلك الأشواك المعقدة كما وصفها (شوارتز) .. لمشاط .. فرش .. مثل تجمع حبات الفلاح .. مخالب للتمسك بالسطوح الخشنة .. إلخ .. ويبدو أن الزبان كان يخرج من أسفل ظهرها .. العينان مفتوحتان لكنهما عبارة عن مجموعة من العيون المركبة المتراصة ..

وكأية نحلة شغالة حقيقية تحترم نفسها غرست الزبان فى قلبه ، لكنها تركت معه جزءًا من أحشائها .. لقد مات الاثنان فى اللحظة ذاتها ..

كان المشهد غريبًا .. غريبًا إلى درجة أنه ليس مفزعًا .. لا بد من خبرات معينة فى ذهنك تستدعيها للشعور بالفزع ، أما هذا المشهد فقد تفوق على كل شىء ..

مال (هارى) شفتيه بلسانه ، وقال :

- « معنى هذا .. أن التحول موروفولوجى كامل .. »

- « هذا صحيح .. »

وانحنى (شوارتز) يتفحص الجثة الأكثر غرابة : النحلة .. وقال فى قلق :

- « ما يضايقنى هو أنها تبدو الضرب الوحيد من النحلة منها الأنثى .. ما كان العلم ليتاح لها بأى حال وهى بهذا الشكل .. »

- « وماذا فى ذلك ؟ »

قلت أنا وقد فهمت ما يريد قوله :

- « معنى هذا أن التحول كان سريعًا جدًا .. لقد ظلت فترة لا بأس بها بمظهر طبيعى أو ربما كانت تخفى تلك الشعيرات بساعدها .. لكن فجأة صارت بهذا الشكل .. لا بد أن الأمر تم خلال ساعة أو ساعتين .. »

قال (شوارتز) وهو يهز رأسه :

www.liilas.com/vb3

ـ « هذا مقلق .. أكثر من شخص سيتحولون فى الساعات القادمة .. »

المصيدة تنغلق علينا ببطء ..

ترى أين وكيف سنكون غدًا ؟

www.liilas.com/vb

★ ★ ★

ـ « هذا مذكى .. أكثر من شخص سيتحولون فى الساعات القادمة .. »

المصيدة تنغلق علينا ببطء ..

ترى أين وكيف سنكون غدًا ؟

★ ★ ★

-3-

« جوني .. أمسك بالقوس واعزف كمانك جيدًا ..

إن الجحيم قد تفجر فى (جورجيا) والشيطان يوزع أوراق اللعب ..

فلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من الذهب ..

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك ! »

★ ★ ★

من تهكموا من أهل البلدة كانوا يقفون فى الشارع الرئيس بينما تلك السيارات تندفع مبعثرة الرمال والغبار .. سيارات فاخرة من (فيراكس) .. إنه فريق الشرطة الذى اتصل به المأمور منذ أيام ..

حوالى أربع سيارات .. ثم سيارة كبيرة نوعًا تشبه سيارات (البوكس) عندنا .. وسرعان ما توقفت السيارات جميعًا أمام مكتب المأمور .. وترجل منها الركاب .. فيما بعد رأيت فيلم (رجال فى ثياب سود) فخطر لى أن هذا

www.liilas.com/vb3

مظهرهم بالضبط .. النظارات سود .. الثياب سود وأنيقة جداً .. بعض الرجال له مظهر كلب الحراسة الشرس اليقظ .. يمكنك أن تسمع أفكارهم : هذا الوكر الحقير .. ماذا يمكن أن يحدث فيه ؟ رجال الشرطة الريفيون هؤلاء لا يفهمون شيئاً .. دع هؤلاء الغربيين يروا قوة التمدين ..

بدا من منظرهم أنهم مندهشون لأن أحدا لم يقابلهم .

ومن السيارة التي تشبه (الهوكس) نزل رجال في ثياب سود بنورهم ، أنهم مدججون بالسلاح ويرتدون كاسكيتات على رءوسهم .. يبدو أن هذه قوات (السوات SWAT) ذائعة الصيت .. كانوا حوالي عشرين رجلاً وقد وقفوا عاجزين عن معرفة ما عليهم عمله .. ينظرون حولهم .. يتبادلون الكلام الهامس .. أحدهم راح يتظاهر بإطلاق النار على صبيين شقيين .. هؤلاء القوم مدربون على إطلاق النار ثم التفاهم .. وهذا الوضع المرتبك لا يروق لهم ..

أكبر الرجال وأهمهم شأنا كما هو واضح يقف حائرًا ويضع يديه في خصره .. ثم ينظر متسائلا ..

دنا منه أحد الفتوات الواقفين ونزع قبعته الرثة وقال له :

ـ « معذرة يا سيدى .. المأمور مختف منذ البارحة وكذا مساعده .. »

ـ « إذن من المسئول الأمنى فى هذه البلدة ؟ »

ـ « لا أحد .. »

ـ « غريب ! »

وتبادل النظرات مع من حوله ..

ـ « لهذا لم يرد على الهاتف .. »

هنا كنت أنا و(شوارتز) و(هارى) قد تكونا من الرجل .. كان (شوارتز) أدرانا بالشرطة .. دعك من مظهره الوحشى بالاحترام والثقة .. أنا أبدو كالجرادة و(هارى) يبدو مشاغبًا ..

قال (شوارتز) وهو يمد يده لمصافحة الرجل :

ـ « د. (جوزيف شوارتز) .. خبير منتدب فى علم المشرات العدلى .. إن إدارتكم أرسلتنى هنا »

ظل الرجل ينظر له متسائلا من وراء زجاج نظارته الأسود ..

www.liilas.com/vb3

قال (شوارتز) :

ـ « المأمور الفاتني .. لكن يوسعني أن أعطيك تقريرًا كاملاً عن الأحداث الغريبة التي وقعت في هذه البلدة .. لو أردت رأيي قلت إنها أحداث استثنائية .. هل معلم أحد من الـ FBI ؟ »

ـ « لا .. نحن رجال شرطة فقط .. »

ـ « إذن ستكون مهمتي أسهل .. »

كان الرجل قليلاً ونظر لمن حوله ، وقال :

ـ « هل راحة البلدة غريبة هكذا دومًا ؟ »

ـ « سوف تعتاد هذا .. وتعتاد الأضواء الليلية وصوت الطبول المعدنية .. وصوت نطاط الحقل .. صدقني »

أشار الرجل إلى مكتب المأمور فزاح (شوارتز) الباب ودخل ودخلنا خلفه ..

كان الأخوان (كالاهان) إياهما في الحجز يتسليان بلعب دور (العصى الرحالة) عندما رأيانا .. لم يتكلما بل ظلا ينظران لنا في فضول من وراء القضبان ..

استدار (شوارتز) ليقول لـ (هاري) همسًا :

ـ « آسف لمقاطعتي .. لكن هذين لم يأكلا شيئًا منذ البارحة .. هل يوسعك أن تبتاع لهما بعض البسكويت من أي متجر ؟ هذه هي مشكلة السجناء إذا مات السجان .. »

ـ « وهل السجان قد مات ؟ »

ـ « أعتقد هذا .. »

وهناك في المكتب الذي كتب على بابه (المأمور) تجمع (شوارتز) بالرجال المتأنقين الذين كان عددهم عشرة .. وبدأ (شوارتز) يحكي القصة منذ بدايتها ..

★ ★ ★

ـ « (ساندرا) !! »

كان هذه من (بيلي) وهو يرى الفتاة قادمة من نهاية الشارع .. مليحة بحق مليحة جدًا .. وثب قلبه في صدره .. لم يتصور أنه سيراها حية مرة أخرى ..

دنت منه ونظرت له في ثبات ، ثم قالت :

ـ « هو ذا الفتى الشجاع قد عاد .. »

قال في ضيق :

www.liilas.com/vb3

ـ « لقد تحققت بك .. لكن كانت لى مغامرة قاسية فى (مقاطعة الشيطان) .. إن قلبك ذاهبة إلى الجحيم فعلاً .. »

ـ « لن أستغرب هذا .. »

ـ « لك هلك القس .. الأب (ميلروى) .. كان هذا أمام عينى .. »

اتسعت عيناها الصاقيتان .. ووضعت يدها على كفه وهمست :

ـ « يا للهول الصغير ! »

كانت دمعتان متحجرتين بالفعل خلف عينيناته .. وأدرك أنه لو تكلم لانفجر باكيًا وكانت فضيحة .. قالت هى :

ـ « أنا ذهبت ورأيت ما يحدث هناك .. يبدو لى أن الساعة قد حانت .. إنهم قد تلقوا أوامر التفرق فى الهلاة . »

ـ « وهل مارسوا ذات الطقوس ؟ »

ـ « ذاتها .. »

سكت الصمت قليلاً ، ثم قال :

ـ « كانت ليلة دامية .. القس مات .. المأمور وناظر مخفاليان وكذلك (سكاروج) العجوز صاحب الموتيل .. الأستاذ (ريتشاردسون) وزوجته ماتا .. »

هتفت فى ذهول :

ـ « يا للهول ! (كلاريسا) !! »

ـ « نعم .. تلك الحسناء الرقيقة .. لقد صارت لعنة أبدية وقتلت زوجها .. يقولون إن هناك بشرًا يتحولون إلى حشرات .. وهناك رجال من (فيلكس) جاءوا للتحقيق »

قالت بنبرة تأثرية :

ـ « الليلة سأعود .. أنت حر فى اللحاق بى أو تركنى .. ربما يقبل (جويل) أن يصحبنى .. لكنى أعرف يقينًا أن الكاهوس بدأ من موضع ما قرب أقواخ (النافاهو Navajo) القديمة التى بنيت قرب المنجم .. سوف أذهب هناك »

ـ « ولماذا لا تخبرين رجال الشرطة ؟ هل يجب أن تلعبى دور الفتاة الحمقاء فى أفلام الرعب ؟ تلك التى تموت لأنها (أرادت ذلك) ؟ »

www.liilas.com/vb3

قالت وهى تتحسس خصلات شعرها :

ـ « ليس لدى ما أحكيه إلا الشكوك .. لا بد من أن أتأكد .. »

كان (بيلى) يعرف هذه الأكواخ المتناثرة قرب المنجم .. إن هنود (التاشاهو) و(هوبى) هما أكبر تجمع للهنود فى الولايات المتحدة كلها .. منذ زمن سحيق كانوا يعيشون فى كندا ثم هاجروا للجنوب ليستقروا فيما نعرفه اليوم بأسم (أريزونا) .. اقتبسوا بهنود آخرين مزارعين أسمهم (بويبلو Pueblo) فتطور منهم فنون الزراعة .. يعيشون فى أكواخ من طين يمارسون فيها النسيج .. أكواخ لها خاصية مميزة هى أنها مفتوحة نحو الشرق .. هذه هى الطريقة التى يحيون بها الشمس .. ولهم مجتمعهم الخاص البعيد عن عادات الأمريكيين والمكسيكيين .. لهم كذلك لغتهم الخاصة التى كان الأمريكيون يستعملونها أثناء الحرب العالمية الثانية كنوع من الشفرة التى يستحيل فهمها على اليابانيين ..

لكن .. الليل والظلام والمغامرة .. ويد (ساندرا) ترتجف فى يده .. لو لم تقع فى حبه بعد مغامرة كهذه فلن

يحدث هذا أبدًا .. الجبناء لا يظفرون بأى شىء ويموتون متحسرين ..

فكر قليلاً . ثم قال لها :

ـ « ليكن لكن متى ؟ »

ـ « التاسعة مساء .. تتحرك من جوار (جاكسون) .. لا تنس كشافك »

نعم الكشاف .. وسوف يتزود باحتياطات أكثر ..

* * *

لما انتهى (شوارتز) من عرض القصة كان واضحًا بقيقًا مقتعًا إلى درجة أن كبير القادمين من (فينكس) ـ ويدعى الملوض (مكالستر) ـ قال فى حماس :

ـ « كل ما تقوله كلام فارغ ! »

كانت هذه هى النهاية .. لا يوجد ما يضاف إلى القصة .. قالت وأنا أتوقع أن يقول لى أحدهم إنه لا شأن لى بهذا :

ـ « هل فحصت الجثث التى أرسلوها لكم ؟ »

www.liilas.com

ـ « لدينا تقارير الطب الشرعى .. ولا أرى أنها تدعم حرفًا مما يقول هذا الرجل .. »

ـ « هناك جثة اختفى رأسها وعنقها وأعلى صدرها .. هل لديك تفسير لهذا ؟ ما لم توجد سمكة قرش فى شوارع البلدة .. دعك من أن هناك امرأة ميتة هى مزيج من لحمة وامرأة .. أؤكد لك أن مناظرها ليس محببًا »

ـ « ليس لدى تفسير لكن هناك حلا منطقيًا فى مكان ما بعيدًا من هذا الهراء عن العشرات .. بعض الجثث التى وجدوها سليمة تمامًا فى الثلج .. وهذا الشىء يمكن للقاتل حقنه فى الجسد .. إلخ ... »

وفتح ورقة كانت أمامه ليتذكر الاسم ثم قال :

ـ « حمض الفورميك .. »

تبادلت و(شوارتز) النظر .. حمض الفورميك الذى يترجمه البيولوجيون العرب بحمض (النمليك) ! السم الذى تحقن به النملة ضحاياها ! عندما تكون عندك نملة بحجم الإنسان فإن سمها يمكن أن يقتل إنسانا بسهولة تامة ..

قال (شوارتز) باسمًا :

ـ « هل ترى ؟ لم نر قاتلا يستعمل حمض الفورميك من قبل .. لكن .. نملة عملاقة .. ألم تفكر فى هذا ؟ »

وأشعل لفافة تبغ فهتف (مكانستر) :

ـ « أنا لا أسمح بالتدخين .. لقد صار هذا المكتب مكتبى من اللحظة .. ولأن هذه البلدة هو مسئوليتى الخاصة .. »

ثم ينظر (شوارتز) للفافة تبغه وإنما تهض ، وقال فى ثبات :

ـ « حسن .. أرجو أن تتم بوقتك هنا .. لكن المسحة بأن ترسل رجالك للبحث فى منطقة (مخالب الشيطان) قبل فوات الأوان .. ربما استطعتم إنقاذ المأمور أو العودة بجثته .. »

ـ « شكرًا على نصائحك .. والآن لو سمحتم لى .. فنحن مشغولون .. »

غادرت المكان أنا وصديقاى الأمريكيان ..

وفى الخارج كان زحام السيارات .. بينما رجال الأمن المسلحون لا يعرفون ما يجب عمله .. لم يرسم لهم أحدهم

www.liilas.com/vb3

خطة من أى نوع .. بعضهم راح يتسلى بالعبث فى أنفه .. وبعضهم أشعل لفافة تبغ بعيدًا عن عينى قائده ، والمبتكرون منهم راحوا يبصقون على الأرض ثم يغطون البصقة بالغبار .. لعبة مسلية كنت أمارسها فى المدرسة الابتدائية .. لقد جاءوا للقتال ولا يعرفون سبب هذه الزيكة ..

قلت لـ (هارى) :

ـ « يبدو أننا سنشتاق لأيام المأمور الباسمة .. أرى أنه كان رجلاً رقيقًا نوعًا ... »

قال (شوارتز) وهو يلوك لفافة التبغ :

ـ « مركبات نقص من الطرفين .. ضلالات .. المأمور كان مصابًا بوساوس للحونة والقوة .. هؤلاء مصابون بوساوس الذكاء والاحتراف المهنى .. إنهم لا يقبلون أن يستمعوا لأحد ولهذا سوف يفشلون .. »

ـ « وبعد هذا ؟ »

ـ « إن قبضة الدولة أقوى من كل هذا السخف .. سوف تأتى وحدات من الجيش وتسيطر على كل شىء

حتى لو أحرقوا البلدة كلها بالنابالم .. لكننا على الأرجح سنكون قد هلكنا .. »

أخبار باسمة بحق .. سوف تنتهى المشكلة لكننا سنموت فى جميع الحالات .. بشكل ما أحسد من هلكوا .. على الأقل هم يعرفون يقينًا أنهم لن يموتوا !

صوت الدقات يتعالى (باتج باتج) .. والرائحة الكريهة لم تتحسن ..

وذلك الهاجس يعاودنى : المنجم .. المنجم ..

قلت له وأنا أنظر تجاه الصوت الذى نراه عن بعد :

ـ « سوف نتناول الغداء ثم نتجه إلى منطقة ذلك المنجم .. أعتقد أن بوسعنا أن نعرف شيئًا .. »

ـ « هذه مخاطرة مع ما نعرفه وما رأيناه .. »

ـ « ستكون المخاطرة محدودة نوعًا فى النهار .. »

ـ « ولماذا المنجم بالذات ؟ »

طبعًا لا أقدر على التفسير .. لذا قلت :

www.liilas.com/vb3

ـ « لأن الجميع كانوا يتناقون هناك »

وهكذا اتجهنا إلى الكافتيريا التى فقدت صاحبها أمس .. وناداى (هارى) (بكريشيا) ليطلب غداء طيبًا ولم ينس أن يلقى عليها كلمة غزل عابرة قابلتها ببرود مهنى .. تشد شفتيها حتى تصيرا رفيعتين تمامًا على سبيل الابتسامة مما يذكرنى بالضحكة الصفراء لدى مرضى الكزاز (التيتانوس) .. ثم تنصرف وتعود حاملة تلك الصحفة بما عليها ..

قلت لها وأنا أقلل ما أحمله إلى المنضدة :

ـ « ما هو مصير المحطة والموتيل والكافتيريا يا (بكريشيا) ؟ من سيدفع لك راتبك ؟ »

نظرت لى فى سماجة بما معناه أن هذا ليس من شأنى .. ثم دست القلم خلف أذنها ، وقالت :

ـ « لا أحد .. لأنى سأدير كل شىء إلى أن يظهر العجوز أو أحد ورثته .. لاحظ أننى كنت أفعل كل شىء وحدى .. ثم إن العجوز لم يكن يعطينى مالا على الإطلاق .. لن يتغير إيقاع حياتى كثيرًا .. »

لما انصرفت وتأكدت من أنها ليست هنا ، قلت لترجلين :

ـ « طبعًا يجب أن نتفق على أن ما يقال هنا سر .. بالذات بالنسبة لهذه الفتاة .. لاحظ أنها آخر من تكلم مع (سكروج) قبل اختفائه .. »

ثم نظرت إلى (هارى) محذرًا :

ـ « أنت بالذات .. كف عن قاعدة (جميلة إذن هى بريئة) .. »

قال فى ضيق :

ـ « فاعتنى فى (جميلة إذن هى تصلح) ؟ »

انتهينا من الغداء ، فقلنا بصوت عال إننا سنقوم بجولة فى البلدة .. تعرفون تلك الطريقة الساذجة فى الأفلام العربية القديمة .. يمكن لأى مغفل أن يعرف أننا نكذب .. فقط تمنيت ألا يكون فيلم إسماعيل يس الذى يقول فيه (فتشنى فتش) قد عرض فى الولايات المتحدة ..

غادرنا الموتيل .. ركبنا سيارة (هارى) التى راحت تقطع شوارع المدينة متجهة إلى منطقة المنجم ..

www.liilas.com/vb3

سألت (شوارتز) عن أصل التنقيب عن النحاس هنا .. لا أشعر أن هناك نشاطًا كبيرًا .. كنت أحسب البلدان التى توجد فيها ملايين أطنان صغيرة .. قال وهو ينظر خارج النافذة :

ـ « هذا المنجم قد انتهى منذ زمن .. لكنهم يستعينون بالبكتريا لفصل نحاسه .. يعتقدون أن هذا قد يعطيهم عشرة آلاف طن أخرى .. لهذا يبدو عملهم هنا أقرب إلى عمل البيولوجيين .. إن سادة هذا الموضوع هم العلماء السوفيت الذين أنشئوا محطة لفصل النحاس بيولوجيًا فى جبال الأورال .. ومن ثم انتشر الأمر فى الولايات المتحدة وفى كل مناجم العالم »

بدا لى الأمر غريبًا .. ما دخل البكتريا باستخلاص النحاس ؟ كانت هذه أول مرة أسمع فيها شيئًا كهذا ..

قال (شوارتز) وقد أدهشه جهلى :

ـ « كنت أحسب هذه الأمور بديهية بالنسبة لك كطبيب .. »

قلت فى غيظ :

ـ « حقًا .. إن التعدين جزء مهم من دراسة الطب عندنا فى مصر .. لكنى لم أهتم به .. »

قال (هارى) وهو مصر على إغاظتى :

ـ « هذه معلومات عامة .. حتى أنا خبير الحاسبات الآلية أعرف هذا .. »

ـ « لنكن .. اعتبرا أنكما تصحبان حمارًا .. ربما أكون جاهلا لكنى أملك مزية أتفوق بها على الجميع .. أنا جائع للغاية طيلة الوقت .. وأمتصه كبعوضة جائعة .. ولهذا أعتبر نفسى رائعًا .. »

لم يحب الرجلان الملاحظة (بعوضة) وبدا أننى لم أوفق نهائيًا فى استمالتهما .. إلا أن (شوارتز) تقبل هذا وواصل الكلام :

ـ « العملية اسمها الترشيح الحيوى bioleaching .. فى الواقع ليست بكتريا بالضبط .. لو شئت الدقة لقلت إنها archaea (أركيا) .. إنهم يبحثون عن بكتريا تتحمل الحرارة العالية أو سمية الفلزات ذاتها .. مثلاً قد يجدون أنواعًا منها فى منجم فحم فى أستراليا أو بركان فى إيطاليا .. البكتريا التى يستعملونها هنا تتحمل درجات حرارة تصل إلى ٧٠ مئوية .. يجلبونها من بركان إيطالى

www.liilas.com/vb3

سألت (شوارتز) عن أصل التنقيب عن النحاس هنا .. لا أشعر أن هناك نشاطاً كبيراً .. كنت أحسب البلدان التى توجد فيها مناجم أكثر صخباً .. قال وهو ينظر خارج النافذة :

ـ « هذا المنجم قد انتهى منذ زمن .. لكنهم يستعينون بالبكتريا لفصل نحاسه .. يعتقدون أن هذا قد يعطيهم عشرة آلاف طن أخرى .. لهذا يبدو عملهم هنا أقرب إلى عمل البيولوجيين .. إن سلفة هذا الموضوع هم العلماء السوفييت الذين كشفوا محطة لفصل النحاس بيولوجيًا فى جبال الأورال .. ومن ثم انتشر الأمر فى الولايات المتحدة وفى كل مناجم العالم »

بدا لى الأمر غريبًا .. ما دخل البكتريا باستخلاص النحاس ؟ كانت هذه أول مرة أسمع فيها شيئاً كهذا ..

قال (شوارتز) وقد أدهشه جهلى :

ـ « كنت أحسب هذه الأمور بديهية بالنسبة لك كطبيب .. »

قلت فى غيظ :

ـ « حقًا .. إن التعدين جزء مهم من دراسة الطب عندنا فى مصر .. لكنى لم أهتم به .. »

قال (هارى) وهو مصر على إغاظتى :

ـ « هذه معلومات عامة .. حتى أنا خبير الحاسبات الآلية أعرف هذا .. »

ـ « ليكن .. اعتبرا أنكما تصحبان حمارًا .. ربما أكون جاهلا لكنى أملك مزية أتفوق بها على الجميع .. أنا جامع للعلم طيلة الوقت .. وأمتصه كمعوضة جائعة .. ولهذا أعتبر نفسى راقيًا .. »

لم يحب الرجلان لفظة (معوضة) وبدا أننى لم أوفق تمامًا فى استعمالها .. إلا أن (شوارتز) تقبل هذا وواصل الكلام :

ـ « العملية اسمها الترشيح الحيوى biolcaching .. فى الواقع ليست بكتريا بالضبط .. لو شئت الدقة لقلت إنها archaea (أركيا) .. إنهم يبحثون عن بكتريا تتحمل الحرارة العالية أو سمية الفلزات ذاتها .. مثلاً قد يجدون أنواعًا منها فى منجم فحم فى أستراليا أو بركان فى إيطاليا .. البكتريا التى يستعملونها هنا تتحمل درجات حرارة تصل إلى ٧٠ مئوية .. يجلبونها من بركان إيطالى

www.liilas.com/vb3

لذا يطلقون عليها Acidianus infernos .. اسم موح بالجحيم كما ترى .. »

قال (هارى) وهو يتابع الطريق :

ـ « حماس علمى جميل .. كنت أعرف أننى أذهب إلى الجحيم مع مخبولين .. لكنى توقعت أن خبالهما من النوع الحميد .. »

بالفعل كان محقًا .. لذا أثرت الصمت .. ليس أفضل وقت تتألق فيه تقنياتك لاستخراج التحاس هو الوقت الذى يتحول فيه الصخر إلى خناس ..

ومن بعيد بدا لنا الجسر الذى يصل إلى المنجم ..

* * *

-4-

بين الأخاديد التى يطلقون عليها مخالب الشيطان مشى رجال الشرطة ..

الحق إنهم بدءوا يشعرون بشىء غير مريح .. هذه الشبكة المعقدة من البيوت الورقية والشمعية والطينية .. مشهد سريالى رسمه (دالى) بجهد جهيد .. لو كنت هناك لأخبرتهم أن المخرج الإسبانى السريالى المجنون (لوى بونويل) كان يعشق الحشرات ويكرمها فى كل أفلامه .. (كافكا Kafka) قدم لنا نموذج للتحول الحشرى عندما جعل بطل روايته (المسخ) يتحول إلى شىء أقرب لصرصور عملاق .. باختصار .. لا يمكن تقديم كابوس من دون حشرات .. هذا يفوق القدرة البشرية ..

فى المقدمة كان ذلك الرجل الذى نسيت اسمه .. هل كان (ماكالستر) ؟ والمسدس فى يده .. الرجال كانوا متوترين لكنهم كانوا محترفين .. لذا اتخذوا أوضاعًا مدروسة وهم يمسحون المنطقة .. فلو تحرك فأر لتحول إلى بخار خلال ربع ثانية ..

www.links.com/vb3

من حين لآخر يسقط أحدهم فى أخدود فيسب ويلعن ويعاونه الرجال على النهوض .. إنهم يبحثون عن المأمور الذى ذهب يبحث عن جثة القس ..

قرب حفرة يعرفها وقف أحد الرجال وصاح ينادى (مكالستر) :

ـ « هلا اقتربت أيها المفوض ؟ »

أسرع (مكالستر) يلحق به وهو يتوقع أن يرى جثة شلالصة القس فى قاع حفرة من هذه .. لكن ما رآه كان لا يصدق !! سوف يزور المشهد عن ليسة لأبد لو عاش !!

كان هذا هو المأمور بالتأكيد .. قميصه والشارة تقول هذا ، لكن عينيه تتقلبان لأعلى .. إنه حى .. فوق صدره بقايا بيض عصافير ممزق كأن طيورًا قد قفست منه .. لكن لم تكن هناك طيور .. كان هناك كائنات عصلية هى مزيج شنيع من برقات وأطفال .. وكانت تتنهمه حيًا !

لم يكن يتحرك .. فقط قالت عيناه المذعورتان كل شىء .. أنقذونى !

ما لم يعلمه هؤلاء هو مدى السخرية الكامنة فى هذا المشهد القاسى .. لعله شىء مقصود .. المأمور قضى سبعة عشر عامًا فى الخدمة .. والزنبور يهوى اصطياد (السيكادا) التى يطلقون عليها اسم (جرادة السبعة عشر عامًا) .. السبب أن يرقة (السيكادا) تقضى سبعة عشر عامًا تنمو فيها تحت سطح الماء ثم تخرج للسطح لتعيش أربعة أشهر فقط .. الليلة قد ظفر الزنبور بهذه الجرادة العملاقة .. وهو ذا قد غدرها لبشلها عن الحركة وألقى بها فى حفرة ثم وضع بيضه فوقها .. والفرض هو أن تجد اليرقات التى تفقس ما تأكله ..

من قال إن عالم الحشرات ليس شديد القسوة ؟ إن الجرادة البائسة تظل حية بينما تتغذى عليها تلك اليرقات البشعة ..

سبعة عشر عامًا أيها المأمور .. ما كان يجب أن تثرثر بهذا كثيرًا ..

حالة هستيريا انتابت (مكالستر) ، فصرخ فى رجاله :

ـ « اقتلوا هذه المخلوقات القذرة !! »

www.liilas.com

الحر خانق والرطوبة عالية بحق ..

الألم يتزايد فى صدرى مع اضطراب الخفقات الذى يجتاحنى أسعل ..

توقفت على المدخل واستندت إلى الجدار ، وقلت فى حزم :

ـ « أنا لن أنزل .. لن أتحرك خطوة .. هذا أقوى منى .. »

قال (هارى) فى غيظ :

ـ « أنت أحمق كالعادة .. لا تنس أنك من أتى بنا هنا .. »

نظر لى (شوارتز) مدققاً ، ثم قال :

ـ « هل تعتقد أن سبب ما تشعر به هو رهاب الأماكن المغلقة (كلوستروفوبيا) ؟ أم إن قلبك مريض ولا يتحمل نقص الأكسجين ؟ .. أم إنك ـ ببساطة ـ جبان ؟ »

قلت وأنا أسعل متحسساً صدرى :

ـ « كل هذا معاً ! من يرد النزول فليفعل .. لكن اتركانى هنا .. »

هز (شوارتز) رأسه .. بدا واضحاً أننى لا أمزح ..

راح ينظر حوله ووقعت عيناه على جهاز صلاتى للتهوية وصهريج كبير تخرج منه مجموعة من الخراطيم الغليظة تتلوى أرضاً وتتجه إلى أعماق المنجم .. لا يمكن أبداً أن تعرف أين توجد نهاياتها ..

التقط خوذة ذات كشاف ، وأضاء هذا الأخير ، ثم قال وهو يصوب النور إلى تلك الأشياء :

ـ « هل ترى هذا ؟ هذا المحلول يحوى البكتريا التى حدثت لك عنها .. إنهم يغرقون المنجم به ثم يتركونه يتفاعل .. بعد هذا يشفطون السائل ويرسلون الرجال للبحث عن النحاس الذى فصلته البكتريا .. »

ـ « قلت إنها ليست بكتريا .. »

ـ « بالفعل .. اسمها (أركيا) .. لكن دعنا من هذا .. من الغريب أنه لا يوجد أحد على الإطلاق هنا .. »

ـ « لست حزيناً على هذا .. »

نظر لـ (هارى) متسائلاً .. هل تتوغل معى ؟

www.liilas.com/vb3

نظروا له فى حيرة .. لا يمكن التصويب من دون قتل الـ ...

ـ « أمركم بإطلاق النار ! إنه لن ينجو مما أصابه .. فلتريحوه ؟! »

وانطلقت البنادق الآلية تمزق كل ما كان فى الحفرة ..

★ ★ ★

كنا فوق الجسر عند المخرج تاركين عندما سمعنا هذه الطلقات .. التفتنا جميعًا .. لكننا قررنا أن الفرقة إياها تتفقد المنطقة .. وما داموا قطعوا هذا فلسوف يلاحقون أشياء كثيرة تستأهل إطلاق النار ..

قال (شوارتز) :

ـ « برغم كل شىء أشعر بالاطمئنان لأن هؤلاء هنا .. إنهم مسلحون ومحترفون »

قلت وأنا أنظر إلى الأفق :

ـ « لا أشاركك الرأى .. إنهم حمقى وهذا مقلق .. ثم إنهم قد يتحولون بدورهم ! تخيل قوة من رجال (السوات) تحلق حاملة أسلحتها وتتسع كالزنابير ! سيكون هذا فيلم رعب رائعًا ! »

قال (هارى) مصححًا :

ـ « ليسوا من (السوات) .. إنهم رجال شرطة مسلحون مدربون .. هذا كل شىء .. »

كان مدخل الحجم واسعًا للغاية كأنه فم الصوت الفاغر .. وعندما بلغنا استطعنا أن نرى تلك الصفوف المتلألئة من المصابيح الواهنة الكئيبة تتلألأ من سقف واحد عند السقف .. وكانت مضاءة برغم أنه لا أحد هناك .. كانت هناك عربات صغيرة تقف عند بداية خط حديدى .. عربات صدئة لا يبدو أنها تستعمل كثيرًا .. هناك فئوس ومعدات حفر وبضع خوذات معلقة .. بعضها من الطراز الذى يثبت فيه مصباح ..

هناك مصعد .. مصعد حقيقى مثبت لجدار صخرى .. له باب من القضبان الحديدية ..

لا يوجد كائن بشرى هنا ..

www.liilas.com/vb3

الحر خانق والرطوبة عالية بحق ..

الألم يتزايد فى صدرى مع اضطراب الخفقات الذى يجتاحنى أسعل ..

توقفت على المدخل واستندت إلى الجدار ، وقلت فى حزم :

ـ « أنا لن أنزل .. لن أتحرك خطوة .. هذا أقوى منى .. »

قال (هارى) فى غيظ :

ـ « أنت أحمق كالعادة .. لا تنس أنك من أتى بنا هنا .. »

نظر لى (شوارتز) مدققاً ، ثم قال :

ـ « هل تعتقد أن سبب ما تشعر به هو رهاب الأماكن المغلقة (كلوستروفوبيا) ؟ أم إن قلبك مريض ولا يتحمل نقص الأكسجين ؟ .. أم إنك ـ ببساطة ـ جبان ؟ »

قلت وأنا أسعل متحسساً صدرى :

ـ « كل هذا معاً ! من يرد النزول فليفعل .. لكن اتركانى هنا .. »

هز (شوارتز) رأسه .. بدا واضحاً أننى لا أمزح ..

راح ينظر حوله ووقعت عيناه على جهاز صلاتى للتهوية وصهريج كبير تخرج منه مجموعة من الخراطيم الغليظة تتلوى أرضاً وتتجه إلى أعماق المنجم .. لا يمكن أبداً أن تعرف أين توجد نهاياتها ..

التقط خوذة ذات كشاف ، وأضاء هذا الأخير ، ثم قال وهو يصوب النور إلى تلك الأشياء :

ـ « هل ترى هذا ؟ هذا المحلول يحوى البكتريا التى حدثت لك عنها .. إنهم يغرقون المنجم به ثم يتركونه يتفاعل .. بعد هذا يشفطون السائل ويرسلون الرجال للبحث عن النحاس الذى فصلته البكتريا .. »

ـ « قلت إنها ليست بكتريا .. »

ـ « بالفعل .. اسمها (أركيا) .. لكن دعنا من هذا .. من الغريب أنه لا يوجد أحد على الإطلاق هنا .. »

ـ « لست حزيناً على هذا .. »

نظر لـ (هارى) متسائلاً .. هل تتوغل معى ؟

www.liilas.com/vb3

كان هذا الأخير مستعدًا لخوض أية متاعب فى أى مكان فى أية لحظة ؛ لذا كور قبضته موافقًا .. وفى هدوء اتجه الرجلان إلى المصعد الحديدى .. واعتمر كل منهما خوذة من تلك المزودة بكشاف ..

صحت فى رعب :

ـ « هل هذا الشىء مأمون ؟ »

ـ « سنعرف حالاً ! »

وسرعان ما أغلق الباب الذى يذكرك بقضبان السجن وضغط على الزر .. ارتج المكان كله وتساقط الغبار من السقف .. مصعد من العصر (البلدوزى) كما هو واضح .. ثم بدأ يهبط وهو لا يكف عن الارتجاج لأسفل .. كل شىء يوحى بعدم الثبات فلو عرضوا على مليون دولار مقابل ركوب هذا المصعد لـ .. لفكرت قليلاً قبل أن أوافق ..

سرعان ما توارى المصعد ووجدت أننى أحدق فى بئر عميقة تفصلنى عنها بوابة من القضبان ..

أخيرًا أنا وحدى ..

أحب الوحدة بحق لكن ليس هنا .. ليس هنا ..

ونظرت لساعتى .. إنها السادسة مساء ..

ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن ؟

★ ★ ★

بعد ثلاث ساعات تقريبًا دوت الطلقات من جديد ..

★ ★ ★

تاتا تا تاك !!!

أجل (بهلى) والفتاة حينما دوت هذه الطلقات ..

نظر لها فوجدها مذعورة فعلاً ...

كان يتوقع سماع طلقات منذ رأى هؤلاء القوم فى البلدة .. من الواضح أنهم فى منطقة الأخاديد .. هذا واضح من اتجاه الصوت وإن لم يعد واثقًا لأن الصدى يفعل أمورًا عجيبة ..

قال لها :

ـ « لا تخافى .. إنهم يمشطون مخالب الشيطان .. يقصونها لو أردت الدقة !! »

www.liilas.com/vb3

كان تنظر للسماء .. وتضم كفيها معًا أمامها .. خطر له أنها تصلى .. ولكن .. لا .. هذا المنظر يبدو مألوفًا .. رآه من قبل ولكن أين ؟

يمشيان بين الأكواخ الطينية التى كان أولئك (التاڤاهو) يعيشون فيها .. كأنها خال .. كان يعرف هذا لأنه جاء هنا مرارًا مع رفاقه .. لكنها تمشى فى ثقة كأنها تعرف ما تريد ..

من بين الأكواخ رأى ذلك الكوخ الذى يبدو بحال أفضل .. بابه الكوخ جهة الشرق كما هى العادة .. دنا منه متوجسًا فيرى ذلك الرجل الهندى يجلس فى وضع الاحتباء أمامه وقد اشتعل بعض الأعشاب وراح يغنى بصوت خافت .. وجواره كيس خيشى مزركش ..

فى الثلاثين من عمره .. يلبس الجينز وحذاء رياضيًا لكنه هندى بلا شك .. هذه الملامح لا يمكن أن تخطئها العين .. إن الهندة تمج بهم وتمج بالمكسيكيين ، لكنه لم يتصور أن يجد أحدهم فى هذا الكوخ ، كأن مئة عام قد اختفت بضغطة زر ..

وقف والفتاة أمام الرجل بعض الوقت .. ويبدو أنه أحس بهما ، فقال دون أن يرفع عينه :

ـ « (كاشينا) .. عند الـ (هوبى) اسمها (كاشونا) .. »

ومد يده فى الكيس ليخرج دمية ملونة زاهية .. ثم دمية أخرى .. وهو يقول :

ـ « (بولى سيو) .. الفراشة .. (بولى ماتا) .. الفتاة الفراشة .. (بولى تاكا) .. الرجل الفراشة .. يعتقد الهوبى أن الله خلق الأطفال ، ثم أراد أن يسليهم ويسعدهم فسوة الشيخوخة التى هم مقبلون عليها لا محالة . هكذا جمع لهم كل ألوان المروج والطبيعة الزاهية فى الفراشة .. ومنحها القدرة على الغناء بأجمل الأصوات .. فسعرت الملائكة بالغيرة ودعت الله كى يحرم الفراشة واحدة من هذه المزايا .. هكذا صارت الفراشة ساكنة لا تتكلم وإن احتفظت بألوانها .. »

نظر الفتى إلى الفتاة .. ما معنى هذا الكلام ؟

عاد الرجل يقول بصوته الهندى الجاف :

ـ « عندنا نحن التاڤاهو أسطورة عن إله اسمه (بيجوشيدى Begochidi) يشبه الفراشة وكان يقود شعبًا من الفراش .. سافر بعيدًا .. وحينما عاد وجد أن شعبه ارتكب المعاصى ومارس الزنا ، لهذا لعنهم .. وأصابهم بالجنون .. ومنذ ذلك

الحين جن كل القراش .. إنه يندفع نحو النار ليلتحر .. لم تسأل نفسك عن السبب ؟ لأن (بيجوشيدى) غاضب .. »

ركع (بيلى) أمام الرجل وراح ينظر له من وراء الدخان المتصاعد من النار ..

قال له بصوت مبحوح :

ـ « هل تعرف حقيقة ما يجرى ؟ »

ـ « (بيجوشيدى) غاضب .. »

وضح أنه فى حال نفسية غير طبيعية .. إنه مذهول تمامًا ويبدو أن الشعور بقرب النهاية وحده يتذكر الجنود ..

أخيرًا رفع الهندى عينيه عن اللهب ، وقال وهو ينظر للاثنين :

ـ « خذ الحذر .. ابتعد عن المرأة .. لأن شعيه الغصص فى الخطيئة لعنهم (بيجوشيدى) .. الفراشة صارت خرساء .. الفراشة صارت خرساء .. »

قالت الفتاة وهى تمسك بيد (بيلى) :

ـ « أعتقد أنه مجنون .. لقد مس الخوف عقله فأحرق أى تعقل .. »

ـ « أنا أيضًا أعتقد هذا .. »

وابتعد الشابان بين الأكواخ المهجورة ، بينما صوت الهندى يلاحقهما وهو يترنم بلغته الغامضة ثم بالإنجليزية :

ـ « (بولى سيو) .. الفراشة .. (بولى مالنا) .. الفتاة الفراشة .. (بولى تلكا) .. الرجل الفراشة .. » (بيجوشيدى) غاضب .. »

أخيرًا صارا يمشيان وسط مساحة خالية ..

لم (بيلى) يفكر .. ما جدوى هذه الرحلة بين الأكواخ إذن ؟ وضح أنها لم تتوقع وجود هذا الهندى فلماذا كانت تريد ؟

هل الهندى يعرف شيئًا ؟ الثقافة الأمريكية التقليدية تفترض حكمة غير طبيعية لدى هؤلاء القوم .. إنهم صموتون لأنهم يعرفون كل شىء .. فهل كلمات الهندى تدل على الجنون أم على حكمة بالغة ؟

توقفت (ساندرا) فى الظلام ، وقالت :

ـ « (بيلى) .. أنا خائفة .. »

راقبتها تسحره بشكل ما ..

www.liilas.com/vb3

(كانت تنظر للسماء .. وتضم كفيها معًا أمامها .. خطر له أنها تصلى .. ولكن .. لا .. هذا المنظر يبدو مألوفًا .. رآه من قبل ولكن أين ؟)

قالت وهى تدنو منه :

- « أريد أن أشعر بقربك .. إن هذا يمنحنى الأمان أكثر .. »

هل هو يحلم ؟ اللحظة التى حلم بها دهورًا تتحقق الآن .. ربما تصور أن يمسك القمر ويقضم منه قطعة أو يلعب الميزبول ببرج إيفل .. لأنه لم يتصور قط أن تدنو منه .. تمسك بيده .. ويجلسان على الأرض فى الظلام .. يغمض عينه .. إنها قريبة جدًا .. قريبة جدًا .. فلتحملنى يا بساط الأحلام لأعلى .. لأعلى .. إننى خفيف الوزن .. إننى أحلق ..

ثم أدرك أن هناك شيئًا خطأ .. إنها قوية جدًا .. أقوى بالتأكيد من قدرات فتاة مراهقة نحيلة .. إنها تثبته على الأرض كأن عملاقًا يدوس عليه بقدمه .. لم يدرك هذا إلا حينما حاول أن يتملص .. قبل هذا بثانية كان مستسلمًا فكانت رقيقة هشة ..

وفى اللحظة التالية أدرك أن (ساندرا) غريبة المنظر جدًا .. إنها تنظر للسماء وتفتح فمها .. إن رأسها يتلوى فى اتجاهات غريبة .. (هارلسون) لم يكن وحيدًا عندما مات .. لم يكن وحيدًا عندما انتزع أحدهم عقله ورأسه وأعطى صدره .. (ساندرا) كانت هناك ..

وهى الآن معه ..

« إنها الحشرة الوحيدة القادرة على أن تبصر ما وراء كتلها .. وأن تمسح وجهها بيديها كالقط .. وتأكل من يدك كالكلب .. وتشرب الماء كالخيول ! »

كانت يده تعبث فى جيبه ..

بسرعة .. قبل أن ..

وخرجت يده بالمسدس الثقيل المرعب الذى كان ضمن حاجيات أبيه .. المسدس الذى أحضره معه على سبيل الاحتياط ..

صوبه بيد واحدة إلى الرأس المخيف الذى يتلوّى فوقه والذى يتجه إلى عنقه .. يده ترتجف .. لا وقت لهذا ..

ضغط الزناد .. و ...

بوم !!

* * *

www.liilas.com/vb3

-5-

الصوت يتعالى أكثر فأكثر ..

كان هناك صوت طقطقات جاء من الخارج .. ربما من جهة المستنقعات .. هذه هى المرة الثانية .. ثلاث ساعات تفصل بين المرتين .. يبدو أن هناك حربًا تدور بالخارج فى هذه اللحظة ..

ثم بعد قليل سمعت طلقة واحدة من مسدس ..

هناك الكثير من الحرج ينتظرنا بالخارج ، حقل حقائى يشبه فراخ الأرياف .. لن أدهش لو كانت الأفاعى ترقص .. الأفاعى النبى .. تضم أكفها وتنظر للسماء وتلتهم حناجرنا ..

كنت أنا فى غاية القلق ، وقد قمت بجولة أو اثنتين فى المنطقة التى أنتظر فيها .. قلت لنفسى إنه إذا كان (هارى) و(شوارتز) قررا الاستكشاف قرأسى فأنا أقوم أنا بالاستكشاف الأفقى ..

هكذا أخذت خوذة مضيئة وبحثت حتى عرفت كيف أشغلها ، ثم رحت أجول فى المنطقة محاذرًا .. مشيت وراء

أحد تلك الخراطيم العملاقة .. وبعد قليل من الزحف المتعثر والاصطدام بصخور والسقوط فوق صخور وجدت تلك الكومة من الصخور ..

وقفت أتهيأ مسرورًا بالكتشافى العظيم .. كومة صخور وسط الصخور ! أنا عبقرى حقًا ..

لكن هذه الكومة كانت تبدو لى عظيمة الشأن .. كومة صخور ذات شخصية واضحة .. ترتفع إلى السقف وبدا واضحًا أنها وضعت هنا لغرض عبقرى ..

كشف الرحلة ! مع الاعتذار لصاحب (صنع الله إبراهيم) ..

رفعت صخرة من تلك يبلغ حجمها حجم رأسى وألقيت بها بعيدًا .. كانت مبتلة .. وعلى ضوء الكشاف التواهن استطعت أن أدرك أنها كانت تخفى يد جثة ..

كنت دومًا أرى أن الجثث مملة .. فى أفلام الرعب يضعون الكثير منها كى يضمنوا أن يرتجف المشاهد .. وكنت أشعر أن هذه محاولات طفولية رخيصة ، دعك من أننى طبيب رأى الكثير من الموت .. لكن هذه اليد باغتت أفزعتنى لأنها

www.liilas.com/vb3

كانت متحسورة لشيء آخر .. هناك شعيرات ومعصلات .. إنها يد تنتمي لهم .. لهم لا عليهم ..

أزحت صخرة أخرى فوجدت قدمًا لا تنتمي لهذه اليد .. هناك جثتان على الأقل ..

ما معنى هذا ؟؟ هناك من مات منهم وهذا قبرهم .. ليس الأمر عجيبًا بالنسبة لمن يعرف أي شيء عن الحشرات .. فهي تتكاثر بإفراط وتموت بإفراط .. ولو تركت نباتين وشأنهما لتغطت الأرض بطبقة سمكها متران من ذريتهما .. ذلك من أن الحشرات تأكل بعضها طيلة الوقت ..

لكن ليس بهذه السرعة ..

هل الوباء ينزاح ؟ هل بدأ الكابوس وانتهى بهذه السرعة ؟ لا أصدق هذا ..

فجأة بدأ المنجم يرتج ..

* * *

ارتفع المصعد ..

وتنهدت الصحراء .. لقد انتظرت كثيرًا جدًا حتى قدرت أنهما لن يعودا أبدًا وقررت أن أعود وحدي للهلدة .. لكن ماذا سأفعله هناك ؟ من أطلب عونه وكيف ؟ ثلاث ساعات في هذا المكان ليست بالفترة القصيرة جدًا .. حتى تخيلت أن لي لحية بيضاء تتدلى على الأرض ..

في ضوء المصابيح الخافت رأيت الآلية المعقدة العتيقة المصعد تنهث مذرة بتسقوط .. ثم بدأ القفص الحديدي يظهر تدريجي .. لو كان هذا فيلم رعب روي لرأيت في المصعد شيئًا آخر لا يمت لصديقي بصلة ..

لكني أخيرًا رأيت الرجلين .. كانا مرهقين مستريحين .. لكنهما على الأقل لا يزالان لحسن الحظ .. وعلى الأرجح لم يتحولا إلى صرصورين ..

وفتح (شوارتز) الباب ثم ارتمى على الأرض .. ومن خلفه جاء (هاري) .. وسقط الرجلان على ظهريهما يلهثان ويسعلان ..

www.liilas.com/vb3

قلت فى دهشة :

ـ « ثلاث أو أربع ساعات .. حسبت أمركما قد انتهى ! »

مسح (هارى) وبصق ثانية ، وقال :

ـ « تقريبًا ! إن ما يجرى فى أعماق المنجم لشىء مريع .. شىء أكبر من توقعاتنا .. لا حل لهذه المعضلة إلا قصفها بالقنابل من الجو ! »

* * *

انطلقت من جديد ..

نطفئ الخوذات ونزحف إلى خارج المنجم لننظر من على إلى ما يجرى .. نحن الآن فوق الجسر .. من تحتنا نرى تلك المساحة الخالية التى تذكرك بأفلام الغرب الأمريكى .. مدثرة بالظلام لكن ضوء القمر ما زال كافيًا ..

كان رجال (فينكس) هناك .. وكانوا فى مأزق حقيقى ..

أرى الآن أنهم هناك فى المساحة .. بعضهم على الأرض والبعض يتوارى خلف الصهاريج أو خلف الصخور .. أشباح مذعورة فى الظلام ..

هناك أشياء تهاجمهم .. أشياء تمشى فى ثقة وتركض هنا وهناك .. تبدو تارة كرجال وتبدو تارة أخرى كحيوانات زاحفة .. برغم صعوبة الرؤية يسهل أن ترى أن بعض هؤلاء الرجال لهم رءوس عملاقة .. رءوس بحجم الصخرة بلا أية مبالغة .. وهم يقومون بالجزء الأكبر من الهجوم .. ينقض بعضهم على الرجال فلا تعرف ما يدور .. عملية التحام جسدى كاملة تلتهما تنتهى بجثة لا تعرف حدودها الخارجية .. جثة الرجل طبعًا ..

بعض الرجال يحاول أن يطلق الرصاص من بنادقه .. يالفعل يسقط عدد لا بأس به من المهاجمين بكسر الجسم .. لكنهم لا يقتلون .. مهما سقط منهم يواصلون الهجوم كما يفعل الـ ...

كما يفعل النمل !!!

إن تلك الأشياء المهاجمة تزحف .. والآن صارت الصورة تمثل مدات منها تتقدم لتكتسح كل شىء ..

عشرون رجلاً مسلحًا من (فينكس) . أضف لهذا عشرة مفوضين .. لكن هذا كله تحول إلى مذبحة .. يشبه الأمر ما يتبقى من مستعمرة نمل وطأتها بحذائك .. فقط العكست الآية هنا ..

www.liilas.com/vb3

صوت القضمات يصيبك بالغثيان .. تشومب .. تشومب ! تشومب .. تشومب ! تشومب .. تشومب !

لا أظن أن أحدهم تمكن من عمل شيء .. إن الكثرة تغلب الشجاعة .. وربما استطاع الرجل قبل موته أن يقتل عشرة منها لكن ما جدوى ذلك ؟

همس (شوارتز) وهو يرتجف :

- « جيش من النمل المحارب ! هذا واضح ! »

ثم أردف :

- « بالإضافة لحمض الفورميك ، هناك تأثير الفكوك العملاقة .. لو صارت النملة المحاربة بحجم الإنسان لصار رأسها بحجم جوال البطاطس ، وصارت المسافة بين فكيها ستة أقدام (مائة وثمانين سنتيمترًا) ! »

وارتجفت .. معنى هذا أنها قادرة على قضم إنسان إلى شطرين ..

هذا هو ما يحدث فعلاً وإن كنا لا نراه بوضوح ..

هذا هو سر الظلمات إذن .. كانت بدايات الغيث ثم الهمر السيل ..

قال (شوارتز) :

- « عندما يزحف النمل المحارب فى إفريقيا يبلغ طول الطابور ميلاً .. يترك السكان أكواخهم ويفرون إلى أقرب حاجز مائى .. وعندما يعودون للأكواخ يجدونها وقد تم تنظيفها بالمعنى الحرفى للكلمة .. »

كانت هناك أشياء لا أميزها تحوم فى الهواء .. إن الظلام دامس .. لكنها تنقض وترتفع من جديد .. والاقتضها أزيز مميز .. أزيز مألوف تسمعه أنت الآن لو كنت تقرأ هذا الكتيب فى ليلة صيف حارة .. شتان ما بين أزيز وأزيز لكن المبدأ واحد !

تساءلت فى رعب عن كنه هذا ..

قال (هارى) وهو يزحف متراجعًا :

- « يعوض على الأرجح !! هذا الجيش لا يفتقر للقوات الجوية ! أرى أن علينا أن نفر من هنا فقد صرنا هدفًا سهلاً ! »

- « فلنعد إلى المنجم .. »

- « لا !! كل شيء إلا المنجم وسوف تخبرك بالسبب !! »

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

-6-

« جوني .. أمسك بالقوس واعزف كعادتك جيداً ..

إن الجحيم قد تأجج في (جورجيا) والشيطان يوزع أوراق اللعب ..

فلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من الذهب ..

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك ! »

★ ★ ★

شعور ممض بقرب النهاية ..

نعم .. على الأرجح هي النهاية .. سنموت جميعاً لا شك في هذا .. فقط كنت أتمنى ميتة أكثر وقاراً .. لن يفخر أبناء أخي عندما يحكون كيف أن عمهم قتلته نملة ..

نمشي وسط الأخاديد .. نتعثر وننهض .. ليس بوسع كلبي تحمل أكثر من هذا .. لو لم تأكلني السراعيف لانتهمتني الهاسبيب أو الدعاسيق .. ظريفة مملكة الحشرات هذه .. أسماء جميلة جداً ..

الظلام دامس بحق برغم وجود القمر .. هذه الأخاديد مليئة بالظلال الخادعة .. يبدو أننا نسينا أن نسأل الخوذات .. هل تضيئها ؟ هذا قرار خطر لأن كل الحشرات تعشق النور وتجده ببراعة غير عادية ..

المشكلة هي أن هذه الأخاديد متاهة حقيقية .. سوف نضل الطريق .. لا شك في هذا ..

فجأة اصطدمنا بشيء في الظلام .. وحدث التحام سريع .. لا أعرف هل ضربناه فأوقعناه أرضاً أم العكس .. المهم أننا وجدنا أنفسنا على الأرض نمسك بخصمه وهو يركل كالثور الهائج ..

كان هذا هو (بيلي) .. الفتى المراهق ذي العوينات والتمش .. لقد فقد كل شيء لكنه احتفظ بالتمش .. فقد عويناته وعثر على الأرجح ..

- « اتركوني ! لن أتكلم !! »

ثم بدأ يصرخ .. أكره الأغبياء الذين يسمحون لهستيريتهم بأن تؤذي الآخرين .. هذا أسوأ وقت ممكن للصراخ .. سوف تجلب علينا كل هذه المسوخ يا أحمق ..

www.liilas.com/vb3

هكذا توكلت على الله وسددت له صفعة أنت كفى كثيراً ..

نظر لى بذهول للحظة ثم انفجر فى البكاء كطفل ..

- « هلم .. نحن مثلك بشريون .. وضائعون .. وفى مأزق بالغ السوء !! »

بدأ يهدأ نوعًا .. ثم استطاع أخيرًا أن يحكى لنا كل شىء .. (سالندرا) كان تريد قضم رأسه .. المأمور مات .. وجده فى خندق وقد اخترقته الطلقات لكن من حوله برقات موتة .. هناك هندى مجنون .. الاجتماعات النهبية .. المشهد المرعب الذى رآه هو و(سالندرا) و(هارنسون) و(جيمى) .. الرجال الذين يعلقونهم من أقدامهم ويتجه كل واحد من تلك الجماعة ليمتص شيئًا من بطونهم عبر ثقب صغير ..

صحت فى هلع :

- « ملاذا ؟ هل جننت ؟ »

ثم وجدت أن كل شىء ممكن الآن .. هذا كابوس .. ولا منطق للكوابيس ..

قال (شوارتز) فى هدوء بلهجة من لم يندهش من هذا :

- « (كاثريسا) قالت هذا لنفس .. إنه موجود فى مفكرته .. »

ورأى الاشمئزاز على وجوهنا ، فقال :

- « بالنسبة للبشر هذا سلوك بشع .. بالنسبة للنمل هذا طبيعى جداً .. بعض أنواع الشغالة تختزن الرحيق فى بطونها وتتحول إلى براميل حية .. تعلق نفسها طيلة الوقت فى سقف العش ، بينما تمر كل الشغالات الأخرى لتأخذ منها جرعة .. وعندما تفرغ يمتلونها ثانية .. »

قال (هارى) :

- « أى إنها تحول نفسها إلى ماكينة مشروبات .. »

- « بالضبط .. لاحظ أننى أتكلم عن النمل ولم أخلط بينه والنحل .. »

قال الفتى الذى فقد صوابه من الذعر :

- « رحت أجرى خائفًا وتواريت بين أغصان شجرة .. ورحت أنظر من بينها بحثًا عن خطر قريب .. هنا فوجئت بهذه الأغصان تتحرك .. كان هذا رجلاً شديد النحول الذى

بين الأغصان بحيث صار من المستحيل أن تميزه إلا إذا تحرك .. أوشكت على الصراخ فتطلق سائل حارق على وجهى .. لولا العوينات لأصابنى بالعمى .. لكنى رحت أجرى وأصرخ وتخلصت من العوينات الملوثة .. فذلك السائل بدأ يسيل على وجهى ويحرقه .. أصابنى الذعر لأننى لم أعد أرى تقريبًا وكان هذا حينما اصطدمت بكم .. »

عدنا ننظر إلى خبير الحشرات .. فقال فى مثل :

« هذا نوع من العصى الرحالة .. لكن هذه الحشرة موجودة فى الأريزونا من قبل هذا الكابوس .. اسمها (فرسة السمك) .. إنها تدافع عن نفسها بإطلاق هذا السائل فى عيون الطيور »

تشومب .. تشومب !

سمعنا الصوت المميز الذى اعتدناه .. صوت القضم ..

تشومب .. تشومب !

تشومب .. تشومب !

تشومب .. تشومب !

قال (هارى) وهو ينهض :

ـ « الرجال النمل .. إنهم قريبون .. يجب أن نفر .. »

قال (شوارتز) :

ـ « أين ؟ إنهم يصلون لكل شىء .. سوف يجدوننا فى أى مكان .. »

تشومب .. تشومب !

تشومب .. تشومب !

ذلك أنا فى غيظ :

ـ « أنت قلت بنفسك أن الأهالى يهربون خلف مجرى مائى .. سوف نفترض أن هذه الحشرات تتصرف حرفيًا كالحشرات الأصلية .. يجب أن نجد ماء ! »

★ ★ ★

أين أنت ؟ أين أنت ؟

ليس من العدل أن تتخلى عنى بعدما طلبت اللقاء فى أسوأ بقاع الأرض ..

★ ★ ★

www.inlas.com/vb3

ومشينا وسط المياه ..

مياه باردة تصل لخصرك .. لكنها ليست أبرد من جثتك على كل حال ..

يبدو أن هذا النهير واحد من تلك الأخاديد التى جلفت فصارت مخالب الشيطان .. لكن هذا النهير الراكد سوف يجرى إلى أن يصب فى نهر (جيلا) الذى يصب بدوره فى (كولورادو) .. أعتقد أنه بالفعل يصلح حاجزًا بعيد النمل عنا..

السكون والهدوء .. لا شىء إلا هذه الأصوات الطفيفة .

وقد خطر لى أن هذا هو المقلب المعتاد .. وسألت الفتى :

- « هل أنت متأكد من أن هذه ليست تماسيح ؟ لم أعد أثق بجذوع الأشجار الطافية هذه »

- « لا توجد تماسيح فى ولايتنا يا سيدى .. »

قالها باشمئزاز كأنه أهين ..

السكون وضوء القمر والماء البارد .. كل هذا يغريك بالنوم لكن هيهات ..

سألت (شوارتز) بصوت هامس كى لا أكسر هذا السكون :

- « الآن يمكن أن تفهم ما رأيتم فى تلك المنجم .. »

قال وهو يتنهد :

- « هى قصة طويلة .. »

★ ★ ★

قال (شوارتز) :

- « لقد نزلنا بالمصعد عدة طوابق .. لكننا لم نجد ما يدل على وجود عمل بالمنجم .. أنا متأكد من أنه ليس مهجورًا .. لسبب ما تم إخلاؤه .. فى النهاية استقر المصعد عند آخر مدى له .. الهواء ثقيل مسمم .. لكن هناك جهاز تهوية يؤدى عمله نوعًا ..

« كان المكان خاليًا لكننا شعرنا بأن هناك وجودًا ما .. هكذا مشينا بحذر .. مشينا بضع دقائق حتى وجدنا أنفسنا فى مكان متسع .. عندها حبسنا أنفاسنا وأطفأنا الكشافات ، لأن كل هؤلاء القوم كانوا هناك .. الرجال والنساء الذين

www.liilas.com/vb3

كانوا يلتفون أمام المنجم هم الآن تحت الأرض بخمسين مترًا .. كانت هناك نار مشتعلة ولا أعرف كيف لم يختنقوا .. لم أعرف أنه من الممكن إشعال النار فى المناجم ، لكنهم كانوا يلفون حولها وينشدون متشابكى الأيدى .. كلمات الأغنية بالإسبانية .. عندها بدأت آلهم ..

« فى الوسط كان يقف من هو أشبه بكاهن .. تحيط به الحشرات الطائرة . الكثير من الذهاب .. رجل فارع القامة يلبس الأسود مع غطاء رأس لا تراه إلا لدى (الأزتك Aztec) .. »

وتجلت وقد شعرت بأن هذا كله مألوف لى ..

أسود ..

أزتك ..

ذهاب ..

ملك الذهاب .. (ري دي موسكاس) .. لقد شهدت عودته لعالمنا .. تمثاله يقع على مرمى حجر من هنا .. (أوزونا) مكسيكية أكثر منها أمريكية .. هل هذه مصادفة ؟

لكن القصة مترابطة نوعًا الآن .. ما يحدث هنا هو نفسه .. ومن يمكن أن يجنب اللعنة ؟

عاد (شوارتز) يقول :

ـ « إن كل ما يجرى هنا هو إعداد لورقة .. »

ـ « ورقة ؟ »

ـ « نعم .. ورقة .. ورقة يبلغ حجمها حجم الحائط .. فيها هناك فى مركز الدائرة وقد رأيناها .. حاليًا هى لا تفعل أى شىء لكنهم يغذونها ويرعونها وينتظرون تحورها ليخرج منها .. »

ـ « من ؟ إبليس ؟ »

ـ « بل (خوتشيكويتزال Xochiquetzal) .. آلهة الحشرات عند الأزتك ! »

قلت فى اشمئزاز :

ـ « لن نعود لهذا الهراء الوثنى .. »

قال فى صبر :

www.liilas.com/vb3

- « نعم .. أنا أتفق معك .. (خوتشيكويتزال) لا وجود لها .. لكننا أمام حقائق مادية هى وجود يرقة عملاقة فى مرحلة تحول .. ووجود رجال لم يعودوا كذلك .. هذا لا يبرهن عن وجود آلهة حشرات .. لكنه بلا شك يدل على أننا فى مأزق مخيف غير معتاد . . »

ساد الصمت .. لا شىء فى الهواء .. حتى صوت الطبول الذى لم تمر دقيقة من دون أن نسمعه قد صمت ..

قلت له :

- « لكن .. هذا هو السبب الذى تحول من أجله المنجم إلى خراب .. »

- « أعتقد أن العدوى بدأت بعمال المنجم .. لكن دعنى أحكى منذ البداية . . »

نظرت إلى حالتنا المزرى .. ستكون هذه أول محاضرة أسمعها وأنا نصف غائص فى الماء .. لكن تفضل يا سيدى .. أطرينا ..

قال العالم :

- « لقد كانت الحشرات تفتن البشر منذ قديم الزمن .. خاصة فكرة التحول .. إنها ترمز للخلود فى كل الثقافات القديمة .. أنت مصرى وتعرف أهمية الجعران scarab لدى المصريين القدماء .. كانوا يرون هذه الخنفسة تتحور وتغير شكلها .. ثم كانوا يرونها تخرج كتلة من الفضلات نحو الشرق مما جعلهم يعتقدون أنها هى التى تقود (رع) أى قرص الشمس .. ثم لاحظوا أن اليرقات تظهر حول المومياوات بكثرة .. بعد هذا يطير الذباب مبتعدًا قبل أن تدفن المومياء .. لهذا ربطوا بين الذباب والروح .. ولهذا كانوا يضعون حليًا تشبه الذباب فى القبور وحول عنق المومياء كأنها وسيلة لتسهيل عودة روحه له .. فى ثقافة قدماء المصريين كان النطاط يرمز إلى الجنود والنحل يرمز إلى الدلتا ..

« الصينيون كانوا مقتنعين بالسيكادا أو جرادة السبعة عشر عامًا .. يرونها رمزًا حقيقيًا للتجدد .. إن خروجها للحياة يشبه الخروج من القبر .. وقد نقلوا هذا الاعتقاد للهندوس ..

« إن كل الحضارات القديمة قد اهتمت بالحشرات .. تذكر الرجال العقارب فى ثقافة البابليين .. عند قبائل البوشمان يعتبرون فرس النبى إلهًا اسمه (كاجن) ..

www.liilas.com/vb3

« فى التوراة تجد أن ثلاثة من آفات مصر القديمة كانت من الحشرات .. لست ملمًا بالقرآن لكن أعتقد أن الحشرات لها أهمية خاصة فيه .. »

لم أعلق حتى لا أقاطعه .. لكن الحشرات ذكرت فى القرآن الكريم مرارًا .. النمل .. النحل .. الذباب .. بل إنها وجدت طريقها إلى أسماء السور .. الذباب ذكر كتحد للكفار .. النحل ذكر كمعجزة دائمة .. هناك أكثر من قصة قرآنية عن النمل ..

وأصل (شوارتز) الكلام :

ـ « أنت طبيب .. فهل تعرف من أين جاءت كلمة Medicine ؟ »

ـ « ليست لدى أدنى فكرة »

ـ « جاءت من لفظة Mead .. وهو مشروب ذو خواص علاجية يستخلص من عسل النحل .. الهنود الحمر كانوا يعتقدون أن الفراش يجلب الأحلام .. بالذات قبائل القدم السوداء كانوا يعتقدون هذا .. وكانوا يرسمون الفراش على خيامهم على شكل يذكرنا بصليب مالطة .. لكن رأيى

الخاص أنه ما من حضارة اهتمت بالحشرات للدرجة التى اهتم بها الأزتك ومن بعدهم المكسيكيون .. إله الأزتك الأكثر أهمية بالنسبة لهم (كويتزالكوتل Quetzalcoatl) يدخل العالم على شكل يرقة ومنها يخرج على شكل دودة أو ألعى .. لم يكن يحمل الزهور إلا الأزتك من ذوى المكانة العالية .. وفى حضارتهم كان من سوء الأدب أن تشم بالة الزهور من أعلاها إنما يجب أن تشمها من جانبها .. السبب هو أن النحل والفراش أرواح .. وهى تفضل أن تشم قمة بالة الزهور ..

« حتى اليوم يعتقد المكسيكيون أن النحل يولد من الجثث .. وهو خلط بين النحل وذبابة الفرس على كل حال .. والآن لاحظ أن هذه الرواية شبه مكسيكية من ناحية الثقافة على الأقل .. منذ جاءها (ماركوس دى نيزا Marcos de Niza) وهو أول أوروبى يطأها بقدمه فى القرن السادس عشر .. لقد جاءها من ناحية المكسيك »

ساد الصمت .. ثم عدت لسؤاله :

ـ « لماذا تحكى هذا كله ؟ »

www.liilas.com/vb3

– « لأقول إن القصة جاءت عبر الحدود من المكسيك .. هذا الرجل الغريب الذى رأيناه فى أعماق المنجم جاء ينشر سحره فى البلدة كلها .. وجمع حوله جماعة من الناس همهم أن يوفروا الهيئة الصالحة لتلك الورقة التى يعتقدون أنها (خوتشيكويتزال) .. وفى الوقت ذاته استطاع بسحره الذى تعلمه من أجيال من الأزتك أن يحيل أهل البلدة الذين حضروا طقوسه إلى أناس حقيقى لعلم الحشرات .. سوف تجد كل شىء هنا .. الذباب .. الخنافس .. الدبابير .. النحل .. النمل .. العصى الرجالة .. ذبابة مايو .. أى شىء .. عندما ينهض الأخ (خوتشيكويتزال) مسيطر ال الحشرات سيطرت على العالم وان الزمن زمنه »

هنا تساءل (هارى) :

– « لماذا لم تلق عنكب ؟ »

كان هذا أسوأ ما يقال .. لعن شىء فى العالم هو السؤال الغبى الذى تمت الإجابة عليه من قبل .. بالذات فى الفصل الأول من الجزء الثالث .. لهذا لم يكلف أحدنا نفسه عناء الرد ..

الآن جاء السؤال المهم بحق :

– « ماذا نفعل ؟ »

فى هذه اللحظة همس (هارى) مذعورا :

– « هل أرى ما أراه أم إنها الهارالويا ؟ »

نظرنا إلى حيث أشار ثم ثار شيئا ..

لا .. [illegible] .. تلك الأجسام التى تطفو على [illegible] .. إن [illegible] يخرج منها ويدخل فى القرب لبشر كانوا تحت الماء فعلا يحيل منهم إلا جزء بسيط ..

إنها حوريات بحر !!

* * *

www.liilas.com/vb3

-7-

عشرات من هذه الأشياء تضرب الماء محدثة دوامة ثم تتحرر وتحلق فى الظلام فوق رءوسنا ..

البعوض قد وضع بيضه فى هذا الماء الراكد .. وفقس البيض لتبدأ دورة الحياة الرهيبة .. الآن يخرج الصغار محلقين جائعين يفتشون عن أول وجبة من الدماء ! ..

كنت على حق عندما فكرت فى التماسيح التى تهدو كجذوع أشجار .. وإن كان الأمر يختلف هنا ..

دورات الحياة تتم هنا بسرعة فائقة .. والمشهد كابوس حقيقى .. فى الأساطير الإغريقية كان (الهارپى Harpy) .. تلك المخلوقات التى تبدو كبشر لكنها مجنحة .. كنا لا نرى المشهد جيداً لكن هذا هو الإيحاء العام له ..

إنها ترتفع .. ومعها توشك قلوبنا على الإفلات ..

كنا نخرج من الماء ، لكن (شوارتز) قال فى حزم :

- « إبقوا حيث أنتم ! حاولوا أن تبقوا أكثر جزء من الجسد تحت الماء .. إنها تبحث عن الرائحة البشرية والحرارة .. »

كان هذا منطقياً .. وركعت على ركبتى فى الماء الضحل بحيث لم يبق منى فوقه إلا رأسى .. وكذا فعل الآخرون .. وبعد قليل بدأت تلك الأسراب تبتعد ..

- « الآن نخرج .. »

وبيطء رحنا نتقدم إلى الضفة متوقعين كارثة أخرى .. فقط من حين لآخر تدوى طلقة تعلن بلا شك أن أحد رجال (فينكس) يدافع عن نفسه ..

على الضفة جثمنا منهكين .. لولا هذا الصيف الهندى لأصبت بالتهاب رئوى ..

حدث آدر سؤالى وأنا ألهث وأسعل :

- « ماذا نفعل الآن ؟ »

قال (هارى) وهو يجفف شعره المبتل الذى غطى وجهه :

- « الأمور ستتحسن بلا شك .. سوف يعرفون فى (فينكس) وسوف تصل قوات الجيش .. هذه المرة سوف يكون تدخلهم حاسماً .. بالفعل لا أستبعد أن يقوموا باستخدام الطيران ذلك الهلاة .. »

ثم أضاف باسما :

- « أو ربما استعملوا المبيدات الحشرية ! »

قال (شوارتز) :

- « هذا سيحدث لا محالة .. لكن حتى ذلك الحين سوف ينتهى عمرنا .. دعك من كونهم لن يفرقوا بيننا والآخرين .. »

وشعرت بقشعريرة .. فى فيلم (ليلة الموتى الأحياء) - تحفة (رومرو Romero) الكلاسيكية - قال رجل واحد حيا يفتقر إلى أدنى .. لا أثر له فى الصباح كان هذا مصيرنا منطقة ثم يختلف عن منظر الزومبى

« النحل فى المنجم .. »

راحت الإجابة تتردد فى ذهنى ..

إذن نحن نضيع وقتنا هنا ..

« النحل فى المنجم ..

« لماذا مات من مات ؟

« فكر كثيرا ..

« على باب الجحيم تجد المطهر .. »

هذه هى الإجابة .. إنها ترسلها لى .. قالت إنها لن تساعدنى .. لكنها قادرة على التلميح ..

قلت لهم بثقة :

- « سوف نعود للمنجم .. إن الحل هناك .. »

قال (هارى) فى شك :

« لا أعرف من أين تأتى بهذا التفاؤل يا صاحبى ! المنجم صار بالتأكيد محتلا بتلك الكائنات .. وهناك تلك الورقة القذرة .. إن العودة هناك خطر داهم .. »

- « أنا مصر .. لو أردت ألا تتبعنى فهذا شأنك .. »

ونهضت فى إصرار .. هكذا نهض الجميع معى .. لا أحد يشتهى الوحدة الآن .. فرصة نجاة الرجل الوحيد معدومة فى عالم يعج بالبعوض والصراصير والذباب والزنابير والنحل والخنافس القاتلة ..

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

كانت تقف على باب المنجم .. مسربلة بالظلام .. على بعد أمتار منها أسفل الجسر بقاياها المذبحة التى قام بها النمل ، ولا بد أنه مشغول بنقل كل هذا الطعام إلى عشه ..

ثم تتبين وجهها أولاً .. وتحفزنا .. ثم دنونا أكثر فوجدنا أنها (باتريشيا) .. سلالية الكاثيريا الحسناء ..

- « (باتى) !! »

قالها (هارى) وهو يركض نحوها ..

صحت وأنا أندو بعيداً :

- « مازلت أحمق .. خذ حذرك .. ولا تعرف كيف عرفت أننا هنا ؟ ثانيًا كيف جاءت ؟ »

صرخ (بيلى) فى رعب :

- « كل النساء خطرات يا سيدى .. إنهن يتحولن إلى مراعيف ! »

فى برود ظلت تصغى إلى ما نقول ، ثم قالت :

- « هل انتهيتم ؟ هل لى أن أتكلم ؟ »

- « تكلمى .. لكن لتكن أعذارك مقنعة .. »

قالت وهى تجول نظرها فى وجوهنا :

- « منذ البداية عرفت أنكم ذاهبون إلى المنجم .. كل هذا الهراء الصبيانى الذى قمتم به لم يخدعنى .. سمعت أكثر كلامكم وسمعت ما يقول الناس .. هذا يجعل الأمور واضحة .. ثانيًا لم أستطع البقاء وحدى فى المواقيل إلى أن يتسلل شىء وصاح يتنهمنى .. إن البلدة قد تحولت إلى جحيم .. كنت بحاجة إلى صحبة الأشخاص لم يتغيروا .. وهكذا خاطرت بهذه الرحلة المرعبة إلى هنا .. ليس الأمر صعبًا إلى هذا الحد والدليل أنكم بدوركم ما زلتم أحياء .. »

رحت أتأملها .. تبدو لى طبيعية فعلاً .. جميلة بأردية سمجة ..

ربما كان صادقة .. من يدرى ؟

همست فى أذن الفتى (بيلى) :

- « أنت تملك مسدسًا .. راقبها .. لو رأيت ما يريب فتطلق الرصاص حالاً وبلا مناقشة »

www.liilas.com/vb3

هز رأسه فى توتر .. وابتلع ريقه .. لكنى كنت أعرف أنه سيفعل .. فالثلث أعصابه سيجعله يطلق النار بلا تردد .. المهم ألا يفعل ذلك لأنها هرشت أنفها مثلاً ..

فى ظلام المنجم وإضاءته الخافتة وقفنا .. كنت أفكر ..

واتجهت فى تؤدة إلى كومة الصخور التى رأيتها من قبل ومددت يدى لأحرر تلك الذراع التى وجدتها .. الذراع المتحورة التى كانت تخص حشرة من تلك ..

« الحل فى المنجم .. »

« لماذا مات من مات ؟ »

هتف (هارى) فى رعب :

ـ « هل هناك مقبرة هنا ؟ »

ـ « مقبرة نعم .. لكنها تخص هؤلاء المتحولين .. »

ـ « ولماذا ماتوا ؟ »

ـ « هذا هو السؤال الذى تستحق إجابته ملايين الدولارات .. »

ثم فكرت من جديد .. رحت أداعب صلصلى بعدما نزعت الخوذة .. لكنى لا أجد شعراً أتركه تأسف .. كان هذا كفيلاً بأن

ينشط التفكير .. « على باب الجحيم تجد المطهر .. » ما معنى هذا ؟

قالت (باتريشيا) وهى تمسك بتلك الذراع الميتة :

ـ « ربما انتشر بينهم مرض ما ؟ »

ثم نظرت إلى (شوارتز) ، وقالت :

ـ « هل تلك البكتريا المستعملة فى التعدين تفتك بهم ؟ »

هنا فقط وجدت الحل ! البكتريا تدعى (ليبديثوس ثارنوس) . المقطع الأخير معناه (الجحيم) باللاتينية .. وهو ذاته جحيم (دانتى) الشهير .. « على باب الجحيم تجد المطهر .. »

البكتريا هى الحل فعلاً .. هذه المخلوقات التى هلكت تلوثت بالبكتريا فلم تتحملها .. من الواضح أن هذه البكتريا قاتلة بالنسبة لها بينما لا تؤثر فى البشر على الإطلاق .. ولهذا فإن مجتمعهم ويرقاتهم فى قاع المنجم يعيدان بالتأكيد عن أى أثر لهذه الكائنات الدقيقة . والدليل أن الخراطيم لا تغذى هذا الجزء على الإطلاق ..

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

« راح ينظر حوله ووقعت عيناه على صهريج كبير تخرج منه مجموعة من الخراطيم الغليظة تتلوى أرضًا وتتجه إلى أعماق المنجم .. لا يمكن أبدًا أن تعرف أين توجد نهاياتها .. »

« التقط خوذة ذات كشاف ، وأضاء هذا الأخير ، ثم قال وهو يصوب النور إلى هذه الأشياء : »

ـ « هل ترى هذا ؟ هذا المحلول يحوى البكتريا التى حكيت لك عنها .. إنهم يغرقون المنجم به ثم يتركونه يتفاعل .. بعد هذا يشغلون السائل وينازل الرجال للبحث عن النحاس الذى فصلته البكتريا .. »

★ ★ ★

صحت فى الرجلين اللذين يقفان معى :

ـ « هلما ! سوف نوجه هذه الخراطيم لتملأ المكان الذى يحتله المصعد .. إنها معدة لتتدفق فى موضع آخر .. لكننا سنغير هذا وسوف نفتح هذه الخزانات ! »

قال (شوارتز) فى استخفاف :

ـ « هل ستغرق المنجم بالماء ؟ هذا لن يؤثر فيهم .. إن الحشرات أقدر الكائنات على التكيف .. هل حاولت مرة أن

تغرق صرصورًا فى بالوعة الحمام ؟ هل سكبت بعض الماء على نملة ورأيت كيف تتحرر وتجف بعد دقائق ؟ »

قلت وأنا أتجه إلى الخراطيم :

ـ « لا أتكلم عن الماء .. أتكلم عن الجراثيم السابحة فيه .. هلما ! »

ـ « ليس لديك دليل .. »

ـ « لدى أكثر من دليل ، لكن لا تضيعوا الوقت فى الشرح .. »

وبيطء بدأت الخراطيم الصلاكة تتدلى فى بئر المصعد كأفاع فى الفراغ .. وحاولنا مرارًا حتى استطعنا تشغيل المضخات فتدفق الماء بعنف يهز المنجم هزًا .. خمسة خراطيم تعمل بكل طاقتها لتفرغ الصهريج العملاق .. شعرت بأن كل شىء يوشك على أن ينهار فوق رءوسنا لذا وجدت أن الرحيل أفضل ..

المنجم كله يهتز .. ..

حان وقت الرحيل فورًا ..

www.liilas.com/vb3

وإلا غرقنا وهذا أول الخطرين .. أو خرجت تلك المخلوقات لتلتقط بنا .. وهذا ثانيهما ..

★ ★ ★

كان نجاح الخطة باهرًا .. ولم نعرف هذا إلا في ضوء النهار ..

في البداية رأينا مستوى الماء يرتفع .. ثم بدأ يسيل من مدخل المنجم .. يتدفق من فوق الجسر إلى الأرض ..

لم يخرج أي شيء حي من الفتحة .. مما أنهم غرقوا وهذا مستبعد وإما أن تأثير هذه البكتريا فعال حقًا .. فقط أنا أعرف يقينًا أن اليرقة هلكت حيث هي .. لم تكن قادرة على الحركة أو المراوغة .. كانت بطة صلاصة جالسة لا أكثر ..

وفي ضوء الصباح مشينا .. عبرنا منطقة الأحذية فأثار ذهولنا كل ما رأيناه من مشاهد الموت ..

على جانبي الحفر يرقد الرجال الزنابير يتحسسون أعناقهم وهم يحاولون النهوض من جديد .. ومن حين لآخر يهوي رجل بعوضة ليسقط على بعد أمتار منا .. جثث الرجال النمل ملقاة هنا وهناك ..

تساءل (هاري) وهو يتفحص جثة مخيفة لامرأة نحلة راقدة إلى جانب الطريق :

ـ « ما سبب انتقال العدوى لهم بهذه السرعة ؟ هم لم يمسوا تلك المادة »

ظلت شارد الذهن !

ـ « ثمة احتمال أن الثلوث كان عامًا . ومن الممكن أن هذه البكتريا [illegible] يبدو أنها صارت في كل مليمتر

عند الظهيرة سيكون كل كائن حشري في هذه البلدة قد هلك ..

الخلاص لزحف في وهن متعمدة .. بينما فتاة فراشة تلف فوق صخرة وترتجف ثم تسقط ...

قال (شوارتز) :

ـ « برغم أن هذا يعني الخلاص فإنني لا أحب ما أراه .. كل واحد من هؤلاء كان بشريًا مثلي ومثلك »

www.liilas.com/vb3

قلت فى اقتناع :

- « معك تماماً .. والأسوأ أن هناك جيلا جديداً نشأ ويلقى حتفه الآن .. »

قال (هارى) وهو يضع يده على كتف (باتريشيا) :

- « لا بد لصنع الحلوى من كسر البيض .. »

ناديته من طرف خفى فابتعدت به بضع خطوات عن المقهى . وقلت له

- « (هارى) .. لا أريد أن أكون كغراب البين .. لكنى أنصحك بأن تترك هذه الفتاة هنا والآن .. إنها ليست كما تعتقد .. »

قال فى غيظ :

- « إما إنك عدت إلى البارانويا ، وإما إنك تغار .. »

- « لا هذا ولا ذاك .. فقط أنا أنصحك بالابتعاد عنها .. وأنا أعرف جيداً ما أتكلم عنه .. لن أعطى تفاصيل أكثر .. »

كاد يتكلم فى الفعال عندما دوى صوت ميكانيكى عال يصم الآذان ..

بحثت عن مصدر الصوت فلم أجد ..

رفعت رأسى للسماء فرأيت طائرتين مروحيتين تقتربان ..

وكان عليهما شعار (شرطة ولاية أريزونا) .. .

★ ★ ★

قلت لـ (باتريشيا) قبل أن أرحل :

- « برغم رأيى السلبى السابق فيك فإن على أن أشكرك .. لولاك ما كنا هنا .. وإننى لأعتذر .. »

نظرت لى نظرة طويلة مطولة .. ولم تقل شيئاً ..

فقط ابتسمت ابتسامة سريعة مقتضبة من طرف (الآن تراه ـ الآن لا تراه) ثم ابتعدت فى ثبات ..

هنا فقط خطر لى أننى كنت مغفلاً ..

لكن الوقت قد فات لأعلن هذا ..

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

خـــاتمـة

عزيزتى :

من جديد لن أذكر أسماء .. الآن أعرف أن السنغالية الحسناء (بتريشيا) مجرد صورة من صورك .. يجب أن أعترف أن الخدعة كانت كاملة ولم تشك فيك لحظة ، بل كانت الريب إلى الارتياب فيك .. لقد وضعتك منذ البداية فى معسكر المشبوه فيهم ، ولم أطمئن إلى أنك أعطيتنى تلميحا صحيحا عن الموجود وحدك .. أن كانت أنت منذ البداية .. أنت (الليلونة) ذاتها .. كانت معى تساعدنى تتشى ثم اختفى إلا الآن .. فقط رأيت فيك برودا وسماجة لفراقى منك ..

على أن هذا نموذج لذكاء البشر المعتاد ، فنحن لا نفصل عن الاستطلاع الشخصى وشكك .. من لا تتهمهم هم على الأرجح أولاد وقحون وربما أشرار .. ولذا لم أحب (بتريشيا) فقط ..

كانت تلك لعبة حقيقية وكانوا يصعب وصفه .. لذلك انتهى .. لم يجد رجال الشرطة الذين جاءوا بالمئات من (فينكس)

فعلا يقومون به .. فمن تحوروا ماتوا .. ومن بقوا أحياء توارثوا فى ديارهم مذعورين ..

من المؤسف أن هذه الفيتامينا السحرية تذيب أعضاء تلك الكائنات ، مما جعل عملية التشريح عسيرة جدا .. وعلى من أن عملية نزع المنجم سوف تستغرق وقتا .. سوف يفقدون الكثير من النحاس وهذا قد يعوقهم عن مشكل استخراج الجثث ..

كنت آمل أن توضحى لى ما إذا كان (راى دى موسكاس) كان ينبغى أن أقوم أنا بهذا العمل ؟ كان يوسعك أن تلمحى لأحد المستان ليقوم بما قمت به أنا ..

إن تراخى البشر قد انتابت تماما .. وهذا يعطينى الفرصة لاستعمالها فى مراسلات قادمة .. فقط أرجو ألا تلمحينى ..

بإخلاص :

رفعت إسماعيل

* * *

www.liilas.com/vb3

عزيزى رفعت :

كان يجب أن تكون هناك .. هذا هو العمل بعينه .. أنت من جلب هذا الكابوس للعالم يوم أحرقت المومياء ، وعليك أن تكون موجودًا فى كل مرة يعود فيها .. يجب أن تنهى خطره بيديك ..

لهذا طلبت منك بإلحاح أن تتلقى .. ولو لم تلك لكان التلقى رهيبًا ..

أرسلت لك بعض التلميحات هناك مثل دخول المنجم وموضوع العنبر والجثير .. إلخ .. لم أستطع أن أصرح بما هو أكثر واستعملت طريقة التلميح .. لكنك استطعت حل اللغز أو استطاعته تلك الفتاة (باتريشيا) ..

لن أخبرك بنجاة أو هلاك (راى دى موسكاس) لأن هذا ليس من حقى .. فقط لو عاد لعالمكم فسوف أخبرك لحظتها .. كما تعرف : (على الرجل أن يقوم بما على الرجل أن يقوم به) !

ضحكت كثيرًا عندما قرأت رأيك فى (باتريشيا) .. فعلاً هى بازدة مريبة لكنها برينة وعلى قدر مخيف من الذكاء .. أنت تعرف الآن أنه لم يكن لها دور فى اختفاء (سكروج) وإنما اختطفه العمل العصابى ..

لكن يجب أن تعرف أيها العزيز أن (باتريشيا) لم يكن لها وجود قط قبل هذا .. عندما أوجد فى مكان فإننى أخلق لنفسى تاريخًا حتى إن الناس يشعرون بأنهم يعرفوننى من دهور .. فجأة صار كل واحد فى البلدة يعرف الفتاة (باتريشيا) ونشأتها وطباعها .. كلهم يذكرونها تلعب وهى طفلة وكلهم أحبها فى مراهقته برغم أنها لم توجد قط قبل شهرين !

لو بحثت بدقة عن العلامات الخمس فى (باتريشيا) لوجدتها ، لكنى لن أذكرها طبعًا .. أنت تعرفها ..

من السهل بالنسبة لى أن أخدع البشر . فلما أعرف الكثير من الأشياء .. علم الحشرات لعلى هذا مجرد جزء ضئيل مما أعرف ، ومن السهل أن أتكلم فيه بضع ساعات أمام متخصص فيه ..

سوف تلتقى من جديد .. ربما .. هناك أشياء وأشياء يجب أن تعرفها عنى وعن ذلك الكون الغامض على الجانب الآخر من المحيط .. لكن ـ كما تقول ـ هذه قصة أخرى .

بإخلاص :

أنت تعرف من ...